الضربة القاضية

بقلم أمل القادري

بين أروقة الروايات بقلم أمل القادري

الضربة القاضية

الرواية مقتبسة عن أحداث حقيقية

بقلم أمل القادري

تصميم غلاف وداخلي أمل القادري

حصري لجروب
بين أروقة الروايات بقلم أمل القادري

مقدمة

كم أنّ الحياة عادلة ، نعم في نظره بالرغم من الجرح والحزن والأسى والظلم والخيانة التي تعرض لها إلاّ أن الحياة كانت عادلة معه

ضحك بعمق، ضحك ساخراً بكَمِّ الحزن القابع بقلبه ، ضحك على قدَرَه القاسي الذي صفعه بكل وحشية هادماً كل حصونه التي عاش كل حياته يبني فيها ، لتأتي مراهقة ، فتاة بريئة لا تعرف من الحياة شيئ وتدمر حصونه المنيعة مخلّفةً ورائها أنقاضاً غير قابلة للترميم .

أماني تلك البراءة والحنان والطيبة ، أماني تلك القاسية المتوحشة والعديمة الرحمة ، أماني حبيبة القلب والروح .

إتكأ إلى الحاجز الحديدي بالباخرة التي قرر الهرب عبرها من حياته ومأساته إلى البعيد ، لعله ينسى ما فعلته به تلك البريئة ، ينسى ، لا ، بل يرجو فقط أن يهدأ بركانه الهائج ، يهدأ كي يستطيع الاستمرار بحياته كإنسان طبيعي كغيره من الرجال .

وقفت من بعيد ، تراقبه ، تراقب ذلك الرجل الغامض الغريب ، كل صباح يصعد على التراس ، يواجه البحر متكئاً الى الحاجز الحديدي شارداً بفكره نحو البعيد ، نحو بلده الحبيب ، وكأنه لا يقوى على فكرة الرحيل ، المغادرة ، وكأنه يودع روحه وقلبه بين ربوع بلاده الحبيب .

إنه اليوم الرابع وما عادت قادرة على تجاهل رغبتها الشديدة في التقرب منه ، التحدث اليه ، سماع قصته ، قصةً متأكدة بالصميم ، بأنها حزينة ، كحزن عيونه ونظراته وتنهداته وضياعه .

وقفت قربه كعادتها وهو كعادته لم يعرها إهتمامه ، بل حتى أنّه لم يلتفت اليها لتفقد الدخيل ، مع أنها كل مرّة تزيد من ذخات عطرها لَعَلَّه فقط يلتفت اليها لتسنح لها الفرصة في إلقاء التحية ، وبعد ذلك لكل حادث حديث ، ولكنه غير مبال ، هذا الشاب الجذّاب ، الطويل القامة بشعره الكستنائي وعيناه الفاتحين التي لم تتسنى لها الفرصة بعد في مراقبتهما عن كثب لإكتشاف لونهما ، تنحنحت مقتربةً أكثر ليلتفت اليها بنظرة عابرة عائداً إلى شروده نحو البعيد .

« مرحبا ، كيفك ، أنا إسمي مايا وحضرتك؟؟ »

التفت مازن اليها هذه المرة بترقب ، وكأنه لأوّل مرة يلاحظ وجودها قربه ، رفع حاجبه يتأمل هذه الفتاة القابعة بقربه تناظره بإبتسامة خجولة وجرأة مصطنعة ، إستدار اليها معيراً إيّاها كامل إهتمامه وقال

« أهلاً ست نايا ، مازن الجرّاح »

« حضرتك لبناني ما هيك ؟»

« نعم ، والظاهر إنك لبنانية كمان »

إتّسعت إبتسامتها تتمايل بدلع مجيبةً « نعم ، لبنانية ، ومسافرة برحلة إستجمامية مع عيلتي ، ماما وبابا وإخواتي ، وحضرتك ، مهاجر أو برحلة إستجمامية؟؟ » سألته وهي تعرف مسبقاً الاجابة ، إنه وحيد ، ليس معه أحد على متن الباخرة لذا مؤكد مهاجر

عاد بنظره نحو البحر وأجاب بتنهيدة « مهاجر ، رايح على البرازيل »

ومن ثمّ عاد الصمت بينهما من جديد كاسراً صفوه صوت تخبط الامواج العاتية بجدران الباخرة الفاخرة التي يعتلونها تشق البحر بخفّة متناهية وكأنها تتهادى نحو وجهتها كعروس تزف إلى بيت زوجها العتيد .

« مازن ، الظاهر إنك تارك ناس عزيزين على قلبك كتير بلبنان»

التفت اليها من جديد يراقبها بتمعّن هذه المرة يتأمل ملامحها الهادئة ، ليست بقبيحة وليست بجميلة ، بل معتدلة ، مريحة للنظر ، طولها معتدل كأماني الحبيبة ، شعرها أشقر مصبوغ ليس كشعر أماني الاسود الحالك الطبيعي الذي لم تلمسه صبغة أبداً ، وعيناها بنيتان فاتحتان بعكس عينان أماني ذات العينان الداكنتان حيث يضيع الناظر اليهما بمتاهات روحها ولا يجد سبيل العودة منهما أبدا ..... إنها لا تشبه أماني ، لا أحد يشبه أماني ، أماني فريدة من نوعها لا تشبه أحد لا شكلاً ولا مضموناً ، أماني من لقنته درساً وإنتقمت منه لكل سليلة النساء . أماني ميزان العدل .

« نعم ، تركت وراي إمي وإختين »

فسألته بذكاء محنّك « ليش حاسّة إنك تارك وراك أكثر من هيك بكثير؟؟ »

أجابها بكل ثقة « نعم ، معك حق ، تارك وراي قلبي وروحي ، دفنتهن هانيك وبكيت عليهن كتير وبعدها قررت إترك البلد وما إرجع عليه إلاّ وأنا معي ثمن أغلى بنت بالبلد »

«الظاهر إنّه في بالدق بنت حبيتها وتركتك كرمال ما معك مصاري »

«يا ريت المسألة بس كانت مسألة مصاري » تنهّد بأسى متابعاً « أنا غلطت غلطة لا تغتفر ، غلطة دفعت ثمنها أغلى ما عندي ، الإنسانة الوحيدة الّي حبيتها بصدق »

إنتهى من كلامه عائداً بشرود نحو البعيد يشاهد الامواج تتخبّط عرض البحر لتختفي كالزّبد .

ومايا إكتفت بالوقوف جنبه تتأمّله بتمعّن ، لا تعرف ما السبب الذي جذبها اليه لترغب بمحادثته والتعرف عليه ولكنّها بكل تأكيد لم تكتفي بما باح به لها بل تركها نهمة لمعرفة المزيد .

الفصل الاوّل

الماضي القريب :

وقف مازن بزاوية القاعة منتقياً لنفسه بقعة مظلمة يتمكن عبرها من مراقبة الحضور بحرّيّة تامة ، يراقب تلك الفتاة التي لفتت إنتباهه منذ وقعت عينه عليها ، بجمالها الهادئ والبارز ، بشعرها الاسود الطويل وبشرتها الحنطية وعيناها الداكنتان ، ترتدي بنطالاً من القماش بلون الطحينة مع قميص بذات اللون يتخلّله بعض من الورود الملوّنة ، تبدو كزهرة ربيعية خلاَّبة .

إنتفض بذعر وكأنّه أُمسك بالجرم المشهود لحظة وضع عماد إبن خالته كفّه على كتفه يخاطبه بخبث « شو الظاهر إنّه في حدا شاغل بالك ، قلّي مين وأنا مستعد عرفك عليها بالحال »

رفع مازن حاجبه مدّعياً البرودة التامّة معلّقاً « دخلك ، مين هاي البنت الي عم تدبك مع أختك سلام؟؟؟»

ألقى عماد نظرة خاطفة ناحية أخته ليعود بإنتباهه إلى إبن خالته معارضاً بشدة « لا ، لا مازن ، ما بنصحك تقرب منها ، إنت عارف هي بنت مين ، هاي بنت جميل سلامة ،المليونير صاحب مشاتل جميل سلامة .»

أهل القادري

رفع مازن حاجبه بتساؤل « وإذا يعني ، منها بني آدمي وبتتعرف على شباب وبتحب وتنحب »

« نعم ، بس مش لواحد متلك ما معه ياكل ، أنت بتشتغل بالفاعل كل نهار حتى تقدر تصرف على خالتي وخواتك البنات ، وبَيها زلمة ما فيك توقف بدربه»

« دخيلك عماد ، الّي بيسمعك بيقول أنا رايح أطلب إيدها وأتزوجها ، أنا بدي إتعرف عليها .»

وقف عماد بوجهه ، عاجزاً عن دفع حس المنطق برأسه ، إبن خالته رجل لعوب ، يتسلّى بالفتيات ويتخلّى عنهن بعد فترة ، نعم ، إنّه يعرف بأنّ بعض الفتيات هُن من يتقرّبن منه نظراً لوسامته الصارخة ،رغم فقره وعسر حاله إلاّ أنّه شاب وسيم وأنيق ويعرف كيف يجذب الفتيات اليه دون مجهود يذكر . لا يريده أن يقترب من أماني ، أماني صغيرة بريئة وطيبة ولا تستحق أن تقع بين براثين إبن خالته اللعوب « مازن ، أنت أكبر منها بكثير ، هيّ من عمر سلام ، ١٨ سنة يا زلمة وانت قدي صار عمرك ٢٧ سنة .»

«مش مهم» علّق مازن تاركاً مخبأه متوجهاً اليها ، إقترب من حلقة الدبكة داخلاً بينها وبين سلام ملقياً التحيّة على سلام متجاهلاً وجود أماني كلياً

« كيفك سلام ، شو ، مبسوطة بالعرس ؟؟»
وكعادتها سلام ، سبّلت له عيناها ترمقه بحالمية ، إبن خالتها الوسيم والجذّاب ، وسامته تقتلها . ومأت له برأسها عائدة إلى الدبكة .
وأماني التي تسمّرت مكانها بالدبكة تتعثّر بخطوات ، تشعر بكفّه الغليضة تحتوي كفّها الصغير والناعم بتملّك . من هذا الغليظ الذي دخل بينها وبين صديقتها سلام بهذه الطريقة الهمجية؟؟؟ يا له حقير ، فكّرت بينها وبين نفسها تحاول جذب كفّها من كفّه بنية الخروج ليتمسك بها بكل وقاحة ملتفتاً اليها يعطيها كل إهتمامه هذه المرّة « شو الظاهر إنَّكَ مش مبسوطة بالدبكي بدك تطلعي ؟؟؟»
حاولت جذب كفّها من جديد معلّقة « نعم ، لو سمحت فيك تترك إيدي »
هزّ برأسه رافضاً « بس أنا مبسوط هيك ، ليه بدك تنزعي علي فرحتي »
إتسعت حدقاتها محدّقة به بصدمة ، فاغرةً فاها ، عاجزة عن التعليق من فرط جاذبيته، وسامته صارخة ، عيناه الخلاّبتان بلونهما النادر مزيج من الرمادي ، وأهدابه الطويلة والكثيفة وطوله الشاهق ، شعرت بموجة حارّة تجتاح جسدها بأكمله

راغبةً بالاندساس به أكثر لتدغدغ أنفها رائحة عطره المنعشة مسبّبةً تلخبط هرموناتها، وهو إبتسم لها إبتسامة إنتصار موقناً بأنّ سنارته قد غمزت ، نعم ، خبرة سنين ، إذ أوَّل مرّة إصطادته أنثى كان في الواحدة والعشرون من عمره وهي كانت في الثلاثين ، إمرأة جميلة أنيقة وغنية ، جذبته اليها وإستغلّت براءته وعدم خبرته لأغراضها الخاصّة ، تسلّت به إلى أن ملّت منه ثم تركته بعد فترة ليبدأ بدوره بعملية اصطياد الاناث، خبرة إكتسبها بالممارسة لتصبح سهلة جداً، ينتقي لنفسه الجميلات وينتقينه الثريات ، يتباهين به أمام صديقاتهن لتجذبه أخرى فيتخلّى عن الاولى ويصطاد الثانية وهكذا .

لم يشعر إلاّ وسلام تنتشل كفّه من كفّ أماني قائلة « تعي أماني أنا عطشت وبدي إشرب »

تنحنحت أماني مولياً إنتباهها إلى سلام التي جذبتها ورائها منقادة نحو الحمّامات .

«سلام ، دخلك مين هذا الشب، بتعرفيه ؟؟؟»

إدّعت سلام الغباء مجيبةً « مين ، مازن ، نعم ، هذا إبن خالتي من ضيعة ماما وبدأ شغل بمعرض المفروشات مع عماد من فترة »

عقدت أماني حاجبيها تفكر « إبن خالتك ، بجد ، واو ، شفتي شو حلو ، بيجنن ، عيونه بيعقدوا »
قلبت سلام عيناها بملل« نعم ، جذّاب وحلو وشايف حاله كثير »
ضحكت أماني « آه ، بيحقّلوا ، ياي شو حلو »
شربت سلام الماء ووقفت أمام المرآة تتفقد نفسها قائلة « الظاهر إنّه عجبك إبن خالتي ، شو رأيك إحكيلك معه »
شهقت أماني بإستنكار « جنّيتي أنت ،بدك ياه يفكر إنّي مدلوؤَة عليه »
ضحكت سلام مقهقهةً « وأنت دغري صدّقتي إني راح روح خبره »

عادتا إلى الحفلة ووقفتا جانباً تراقبان الناس والعرسان يرقصان وسط الحلبة ، وإذ بمازن وعماد يقتربان منهما ويختار مازن موضعه بقرب أماني التي إرتبكت بمجرد رؤيته متمسكّة بسلام التي لاحظت إرتعاشها الطفيف، فإبتسمت لنفسها تفكر بأنّ صديقتها معجبة وبوضوح بمازن .
« بتحبي ترقصي معي » سألها

هزّت برأسها رافضةً دون أن تنظر ناحيته مبقيةً عيناها على العروسان .

« عارفة إنَّكَ كثير حلوي ، لفتِّيلي نظري من أوَّل الحفلة وما كنت عارف كيف بدّي إتعرف عليك »

إحمرت وجنتاها خجلاً من إعترافه المباشر ، يا رب ، إنَّها ليست المرّة الاولى التي يحاول شاب أن يخبرها كم يجدها جميلة وبأنّه يرغب بالتعرف عليها عن كثب ولكنّها المرّة الاولى التي تجد نفسها عاجزة عن الرد ، لا تريد أن تصدّه وبذات الوقت خجلة من قبول عرضه ، ماذا تفعل ؟؟ كيف تتصرف ؟؟؟ شعر مازن بترددها وخجلها ، فقرر إفساح المجال لها أن تأخذ وقتها بالقبول كي لا تشعر بالضغط ، المهم أنّه تأكد بأنّها معجبة به ، والباقي بإمكانه الانتظار.

****

إستيقظت أماني باليوم التالي بإبتسامة عارمة تفكر بمازن وجمال ومازن وأناقة مازن ، وقفت أمام المرآة تتأمّل نفسها متذكّرة كلامه عن جمالها ، إستدارت حول نفسها بغبطة خارجة من غرفتها لتسمع صوت والدها الحانق فتراجعت مسرعة إلى غرفتها هاربة منه ومن غضبه الذي يرميه بوجه كل من يصادف دربه ، والدها رجل عصبي جداً ، مخيف ، لا

يعرف كيف يتعامل معهم بالمنزل سوى بالصراخ والتأنيب والشتم وخاصّة المسكينة والدتها التي تستحمل كل هذا وهي صامته ، إرتعش قلبها خوفاً لحظة علت نبرة صوته أكثر من المعتاد صارخاً بوالدتها متذمراً على أسخف الامور ، بأنّها كسولة مهملة بحق منزلها وعائلتها، تعتمد على الخدم بكل شيئ ، أنّه لا يحب أن يأكل شيئ من صنع الخدم ، أنّها مهملة لبيتها وأولادها ، زوجة فاشلة ، ما الذي يجبره على إبقائها بمنزله ، ومع كل هذا وهي صامتة ، لا تتذمر ولا تناقش ولا تبرر ، تسمعه وتسمعه ومن ثم تنفذ له ما يطلبه دون تعليق .
عادت وجلست على سريرها حاضنةً نفسها، حانقة من والدتها التي تتحمل كل هذا منه وتجبرهم هي وإخوتها الصغار على تحمّله وتحمّل تعنيفه الدائم لهم .
أخذت هاتفها وإتصلت بسلام .
« الو سلام ، كيفك ، شو عم تعملي ، شو رأيك تجي لعندي ....لا ، بابا طالع على المحل ، أوك »

****

إستلقت سلام على سرير أماني تتأمّل تفاصيل غرفتها التي بحجم غرفتين من غرفتها ، بأثاثها الأنيق وخزانة ثيابها المليئة

بأغلى أنواع الثياب ولكن رغم كل هذا لا تتمنى أن تكون مكانها ، لانها تعرف أخلاق والدها وطبعه العنيف ، تعرف بأنّه يقدم على ضرب والدتها ويعنّفها وبأن أماني لا تجرؤ على رفع وجهها بحضوره ، إنَّها تخافه ولا تحبّه ودائماً تهرب إلى غرفتها أثناء تواجده بالمنزل .

«أماني ، بتعتقدي بيّك بيوافق إذا إجاك عريس مش غني متلكم »

رمت أماني هاتفها جانباً مولياةً إيّاها كامل إهتمامها « ما بعرف ، لحد إسّا صار رافض كل العرسان الي إجوني كل واحد بحجّة ، منن أكبر مني بالعمر ، ومنن ما عجبه شو بيشتغلوا ، ومنهم ما عجبه من أي بلد هني ، دخلك ، شو بيعرفني كيف بيفكر ها الزلمة »

« مبارح حكاني مازن ، قال حابب يتعرف عليك ، بس لازم تعرفي من بالوقت ، إنّه فقير ، والده متوفّي من زمان وعنده إختين أصغر منه وإمّه بالبيت ، وهو عم يشتغل ويصرف عليهم ، والأهم من هذا كله إنّه مش دارس جامعة ، ماخذ ثانوية عامّة وبس . »

صفنت أماني قليلاً تفكر بكل ما قالته سلام ، وماذا قدّم لها المال ، والدها رجل غني همجي وعديم المشاعر والاحاسيس ، المهم أن تجد من يحبّها ويحترمها ولا يهم حالته المادية .
« أنا بقبل أتعرف على مازن ، بلكي بيكون هو عريس الغفلة» قالت مستلقية على ظهرها تحاول تذكر ملامحه التي لم تغادر مخيّلتها منذ ليلة البارحة .

****

وقف عماد من مكانه يجول المعرض ذهاباً وإيّاباً ، حانقاً وغاضباً ، ولا يعرف كيف يمنع إبن خالته اللعين عن أماني .
« ما راح إسمحلك تقابلها عنّا بالبيت ، البنت أهلها بيأمنوا عليها عنّا لأنهم بيعرفوا إنه نحن ناس محترمين ، مش راح إسمحلك تشوفها عنّا بالسر عن أهلها »
« وأنت شو دخلك عماد ، إذا البنت قبلاني ، أنا حاسس كإنك بتحبها وغيران مني عليها »
وقف بوجهه يرمقه بحنق « إنت بتعرف إنه أنا بحب روان ، القصّة إني بعرف حركاتك وبرفضها والبنت بريئة وما بتستاهلها »

«عماد ، أنا بحذرك من بالوقت ، خليك برات الموضوع ، فهمت » قال له محذّراً تاركاً الصالة نحو سيّارته الصغيرة متوجّهاً نحو منزل خالته حيث تواعد مع أماني .

جذب عماد شعره بحنق زافراً أنفاسه بعمق « أوك ، خليني شوف لوين بدك توصل معها يا إبن خالتي .»

****

تركت سلام أماني ومازن عند الشرفة ودخلت إلى المطبخ لصنع الشاي وإذ بعماد يتصل بها « الو سلام ، وصل مازن لعندكم ؟؟»

« نعم ، هوي مع أماني على البرندا »

« سلام ، أوعى تتركيهم لوحدهم ، أو تخليه يروح معها على شي محل لوحدهم إتفقنا»

قلبت سلام عيناها مستهجنة قلق أخيها « يعني على شو خايف ، أنا بعرف أماني ، مستحيل تسمح لمازن إنّه يتعدّى حدوده معها ، ما تعتل هم »

أغلقت الخط وباشرت بصنع الشاي .

«شو ، كيفك اليوم » سأل مازن يتأمل ملامح أماني الجذّابة حدّ الإرهاق .

وهي تورّدت خجلاً متمتةً « مليحة !!!»

«شو أيمتى بتبدأي جامعة ؟؟»

«الاسبوع القادم» أجابته وعادت لصمتها ، شابكةً أصابعها ببعضهم تحاول دفع الخجل والتوتر عنها .

إرتعش قلبه بحماس لهذا الخبر ، نعم ، هذا ما ينتظره ، لقد ملّ من رؤيتها في بيت خالته حيث تجلس بعيداً عنه ويجريان أحاديث عادية ومُمِلَّة ، ولكنّه يعلم بأنّها تحتاج لبعض الوقت قبل أن ينتقل معها للمرحلة الثانية بعلاقتهم إذ إنَّها خجولة وقليلة الكلام وهو يجد نفسه عاجز عن دفعها إلى التحدّث لأكثر من بضع كلمات هنا وهناك .

«كثير مليح ، هيك بيصير فينا نشوف بعض بس تنتهي من الدوام ، شو رأيك ؟؟»

رفعت بصرها اليه برهقة ، تحاول إستيعاب ما قاله ، هل سيذهب إلى الجامعة لمقابلتها هناك ؟؟ ماذا إذا رآهما أحد ونقل الخبر لوالدها ، سيقتلها .

لاحظ مازن الخوف والذعر على ملامحها فأردف « بوعدك إنّه ما بنخلّي حدا يشوفنا ، أنا عندي طرقي الخاصّة حتّى نبقى بعيد عن عيون الناس »

لانت ملامحها تحاول أن تبتسم له، إنّه محق ، لا يمكنها الاستمرار برؤيته عند بيت صديقتها سلام .

«شو !!! قررت إنَّكَ تسجلي علم نفس ، ما بدّك تغيري رأيك ؟؟؟» سألها محاولاً حثّها على الاسترخاء

هزّت برأسها مجيبةً « نعم ، أنا متأكدة من قراري ، مع إنّه بابا مش معاجبه الاختصاص ، قال المجانين الي بيعملوا علم نفس ، بس أنا بحب علم النفس وحابّة إتخصص فيه »

ومأ برأسه ، يشعر بالانتصار ، لقد أخرجها من صمتها ،مسترسلةً بالكلام «أوك ، عملي الّي برَيحك ، بس أنا كنت كمان بفضّل تعملي شي ثاني »

ضحكت بخجل « وأنت كمان ، بليز ، بدل ما تشجعني ، عم بِتْصُف مع بابا »

وقف عن مقعده منتقلاً إلى مقعدها المزدوج لتتفاجأ من مبادرته منزويةً بحافّتها وهو إقترب أكثر مضيّقاً عليها هامساً بصوته العميق الاجش تشعر به يدغدغ أوصالها مسبّباً إرتفاع حرارتها.

« أنا معك بأي شي بتختاريه يا أطيب قطعة تيراميسو بالكاكاو »

كتمت أنفاسها تتأمّله بخجل عن قرب ، يا الله !!! كم هو وسيم !! وسامته تثير جنونها ، شعره البني الغامق الذي يتخلله بعض الخصال الفاتحة ، وعيناه مزيج من الرمادي ، وحاجباه الكثيفين وذقنه الناعمة والخفيفة لتشعر برغبة جامحة بمدّ كفّها ولمسها لإستكشاف ملمسها، ولكنها تعرف بأنّ هذا لا يجوز ، وفقط البنات الغير محتشمات يفعلن ذلك وهي أبداً لا تقبل على نفسها أن تكون هكذا فوقفت من مكانها مبتعدة عنه ، تشعر بجسدها يرتعش من هول قربه منها.

وقف مازن مقترباً منها يشعر بتأثرها من قربه ، إبتسم لنفسه بنصر ، نعم ، إنّه يقترب من هدفه أكثر وأكثر « شو أماني ، ليش عطول بتهربي مني بس قرّب منك ، بوعدك إنّي أبداً ما راح إجبرك على شي ، بس أنا بحب كون قريب منك ونحن عم نحكي »

«لا .... أنا ...أنا بس ، بحس ، ....» تمتمت غير قادرة على خلق جملة مفيدة وهو إبتسم بعمق مقترباً منها أكثر « بتعجبيني كثير بس تخجلي ، بتعرفي ، إنّه بها الايام الواحد

صار نادراً ما يلاقي بنت بتخجل ، بتلاقيهم عم يرمو حالهم رمي على الشباب بس بدهن واحد يطلّع عليهم ويحبهُم»
رفعت بصرها اليه تتأمّله بخجل جلي على ملامحها ، في حياتها كلها لم تسمح لشاب بالاقتراب منها أو مخاطبتها بهذه الطريقة ، كانت تخاف من هذه الخطوة وتخاف من ردّة فعل والدها ، ولكنّ ما شجعها على هذه الخطوة مع مازن أنّه شاب ناضج ، كبير ، سنّه يناسب الارتباط وليس كباقي من حاول الاقتراب منها ، زملائها بالمدرسة وبعض أصدقائها ، مازن جاهز لان يتقدم لها ويتزوجها وهذا ما تريده، تريد من يحبّها ويتزوجها ويخلّصها من ظلم والدها وجو منزلها المشحون .
« وهيدا الشاي ، صار جاهز » قالت سلام واضعةً الصينية على الطاولة معلنة إنتهاء وقت التلاطف والتغزّل .

****

ركبت معه بالسيّارة وهي تشعر بينها وبين نفسها بأنّها ترتكب خطأً فادحاً ، ولكنّها رغم ذلك تريد أن تكون معه ، تشعر بوجوده بالراحة والسعادة ، تنسى حياتها وتركز عليه هو فقط ، ركن السيارة في مقهى صغير ونزلا اليه لتلاحظ عيون البنات

جميعها عليه، يراقبنه بإعجاب ووقاحة تامّة ، شعرت بالغيرة التملّكية إتجاهه ، إنّه حبيبها هي وحدها ، وما بالهم ووقاحتهم ، الا يَرَوْن أن معه فتاة ، إرتعشت أوصالها لحظة شعرت بكفّه الدافئ يمسك بكفِّها قائداً إيّاها نحو طاولة صغيرة جانب نافورة المياه ، إلتفتت اليه مبتسمةً تتأمّله بعيون الفتيات الآخريات لترى أنّه حقاً يستحق أن يُنظر اليه دون رادع ، سبحان الله ، وسبحان الخالق ، نادراً ما نرى الجمال يسير على الارض وعلى مقربة هكذا .

أجلسها جالساً بقربها تماماً على مقعد مزدوج ، طلب لها كوكتيل من الفواكه المشكّلة وله فنجان من القهوة وإتكأ إلى الخلف مسترخياً .

أخرج هاتفه من جعبته أطفأه ملقياً إيّاه على الطاولة وهي حدّقت بالهاتف متفاجئة من فعلته « ليش طفّيت التلفون ، بلكي حدا إتصل فيك ؟؟» سألته بدهشة

رفع حاجبه يتأمّل ملامحها الجذّابة ، هذه الفتاة تثير جنونه ، يشتهي قبلة منها ولا يعرف متى سيحصل عليها ، إنَّها أوَّل تحدّي بالنسبة اليه ، دائماً ما يجد الفتيات سهلات المنال ، هم يأتون اليه بدون جهد يذكر ، ولكن أماني تثير جنونه ببرائتها

وجمالها ورقتها والأكثر من هذا كله تواضعها ، لا تشعر بأنّها فائقة الجمال والاناقة .

«ما بدّي حدا يزعجنا ونحن هان ، أنا بالوقت الك وبس »

إبتسمت له بإمتنان أخذةً عصيرها ترتشفه بهدوء تام وإذ به يأخذ قشّة ثانية واضعاً إيّاها بكوبها يرتشف معها العصير ، إنتفضت متفاجئة من فعله تراقب وجهه قريباً من وجهها يرتشف العصير وعينه لا تفارق عينها .

تركت العصير متراجعة إلى الوراء بوجه مشتعل خجلاً وأشياء أخرى سبّبها قربه منها بهذه الطريقة لتضرب حواسها رائحة عطره المنعش الذي يستعمله دائماً .

« وين كنت سهران مبارح ؟؟قالتلي سلام إنَّكَ كنت معزوم على حفلة »سألته تحاول تلطيف الأجواء

ترك العصير عائداً إلى وضعية الاسترخاء مجيباً « نعم ، نعم ، كنت معزوم على حفلة لمطرب بمطعم ، رفقاتي الشباب عزموني ، كنت حابب تجي معي ، بس كنّا كلنا شباب لهيك ما قدرت خبّرتك »

«كنت خبّرني ، كنت رحت أنا ورفقاتي البنات وإلتقينا هانيك » أجابته لائمة معاتبة .

أمسك بكفِّها لتحاول جذبها منه ولكنّه شدّد قبضته مقرّباً إيّاها إلى فمه لاثماً إيّاها بلطف « بجد ما خطر على بالي ها الشي ، خلص مرّة ثانية بعمل هيك ، أوك »

ومأت برأسها تشعر بالخيبة « بس إنت حتّى ما خبّرتني إنَّكَ رايح ، مبارح حكيتني وما قلتلي »

« ما بعرف ، بجد ما خبرتك ، أكيد ما إنتبهت ، فكّرت حالي خبرتك » أجابها يشعر بالغضب والحنق من عماد الذي وضعه بهكذا مأزق ، أكان يجب عليه إخبار سلام .

« كيف الجامعة ، والمحاضرات ؟؟»

« ماشي الحال »

« إنت بتعرفي إني بحبك كتير ماهيك ؟؟» سألها

حدّقت به متفاجئة من إعترافه عاجزة عن التعليق ليتابع هو « كرمال هيك أنا بدّي حذرك ، إنّه ما بحب إنَّكَ تحكي مع شباب بالجامعة ، أنا بغار كثير »

أشاحت بنظرها عنّه خجلةً حدّ الموت متمتةً « أصلاً أنا ما بحكي مع شباب مازن ، ما بقبل يكون عندي أصدقاء شباب لانهّم عطول بينتهي معهم الامر واقعين بحبي وبدهن نكون على علاقة »

إنتفض قلب مازن بصدره مسبباً له ما يشبه الأزمة القلبية معلّقاً « شو قصدك ، كنت تعملي علاقات معهم ؟؟؟»
إرتدّت متفاجئة من كلامه « شو!!!! أكيد لا ، أنا بحياتي ما عملت علاقة مع شب ، أنا ما بقبل ها الشي ، الي بدي إضهر معه لازم على القليلة يكون مستعد للزواج وواثقة بأنّه هو الانسان الّي بدي إتزوجه .»
تنحنح متراجعاً ، خالقاً مسافة بينهما معلّقاً « يعني بدّك تفهميني إنَّكَ أبداً منك بايسة شي شب من قبل ؟؟»
عقدت حاجبيها بحنق « أكيد لا ، وإنت بايس شي بنت من قبل؟»
ضحك بخفوت مجيباً « أكيد بايس بنات من قبل ، كنت بعرف بنت وكنّا على علاقة وكنت بوسها »
شهقت متورّدةً من الحنق والغيرة والغضب « كانت تبوسك هيك من دون ما تكون زوجها ؟؟»
رفع حاجبه بمكر «مش ضروري كون زوجها آماني حتى بوسها ، أصلاً كلّ البنات والشباب الي بيحبوا بعض بيبوسو وبيعملوا إشيا من دون من يكونو متزوجين»

إرتدت من مكانها مستنكرة حديثه « أنت غلطان ، أنا مش ممكن إقبل بوس شب إذا ما كان زوجي ، وفِي كثير بنات محترمات ما بيقبلو يعملو ها الشي »

إقترب منها مضيّقاً عليها « ومين خبّرك إنّه البنت الّي بتظهر مع حبيبها وتعمل علاقة معه ما بتكون محترمة ، أنا ما بعتبرها بنت سيئة ، هاي بتكون بنت متحررة وجريئة وبتعرف حالها شو بدها »

« إنت بجد بتفكر بهذه الطريقة ، يعني ما بيأثر عليك إذا البنت الي بدك تتزوجها كانت عاملة علاقة مع غيرك من قبل ؟؟ مازن إذا البنت باست كل شب بتضهر معه هذا بيعني إنَّها إحتمال تبوس عشرات الشباب قبل ما تلاقي واحد يتزوجها»

هنا أتى دوره هو كي يرتد مبتعداً من جديد ، أخذ هاتفه قلَّب به ، أعاده إلى مكانه ، جال بنظره حول المكان ليلاحظ بعض الفتيات الجميلات جداً يرمقنه بإعجاب ، لو أنّ أماني ليست معه لكان إختار لنفسه واحدة وكسر هذا الملل الشديد الذي يشعر به ، إنّه يحتاج لإمرأة تمتص طاقته الهادرة ، ويبدو أنّ آماني العزيزة عنيدة ولن يحصل منها على شيئ .

عاد بنظره إلى الطاولة ليجد عصيرها قد إنتهى فوقف من مكانه قائلاً « أنا لازم إرجع على الشغل ، خلّيني رجعك على الجامعة وروح .»

نزلت أماني من سيّارته المتواضعة تشعر بتغير مزاجه ، وكأنّها قالت أو فعلت شيئ أغضبه ، أكملت يومها شاردة الذهن ، تفكر بمازن وما قاله وسكوته المفاجئ .
لم يعجبها كلامه عن الفتيات والعلاقات ، وبالأخص إعترافه الوقح بأنّه قبّل فتيات قبلها ، لتشعر بنار الغيرة تتأجج بصدرها وشراينها ، هذا كثير ، رهيب ، لا تظن أنّها بقادرة على تحمّل تلك الفكرة أنّ هناك فتيات قبلها لمسن شفتيه وأعطينه ما ترفض هي إعطائه هكذا بكل سهولة ودون قيود .
عادت إلى المنزل لتجد أخيها أيمن البالغ من العمر أربعة عشر سنة ينتظرها عند الباب « أيمن حبيبي ، في شي »
أجابها بصوت مخنوق على وشك البكاء « ماما!!»
«شو بها ماما ، خبّرني ، وينها » سألته متوغّلة نحو الداخل وهو لحق بها مردفاً « تشاجرت مع بابا وضربها وطردها من البيت ، أخذت شوية ثياب وفلّت .»

وقفت بأرضها تشعر بالبرد يلفح جسدها دُفعةً واحدة ، بأنّها ترتعش خوفاً وقلقاً « وين مريم ؟؟»

« بغرفتها ،ما وقفت بكي من وقت ما صارت المشكلة»

أخذت هاتفها وإتصلت منه « الو ماما ، كيفك ؟ أنا بالوقت حتى وصلت على البيت وعرفت ، ليش ما إتصلتي فِيّ »

« ما كان بدّي إزعجك وأنت بالجامعة ، أنا مليحة وما تهكلي همي حبيبتي بس ديري بالك على أختك وخيّك ، هنّي أمانة عندك »

دمعت عيناها تشعر بالاختناق ، إنَّها ليست المرّة الاولى أو الثانية أو حتّى المئة التي يحصل فيها هذا الامر« ماما بليز ، هيذي المرّة ما ترجعي ، ما تعتلي هم إخواتي ، أنا راح إهتم فيهن ، بس ما ترجعي لبابا»

صمتت والدتها لتسمع صوت أنفاسها الهادرة على الهاتف ، إعتصر قلبها قهراً ، ستعود ، ستنتظر زوال ثورة والدها وعندها سيتصل بها طالباً منها أن تعود وستعود كعادتها أغلقت الهاتف وذهبت لتفقّد أختها الصغيرة مريم البالغة من العمر عشرة سنوات.

****

الفصل الثاني

«دخلك سلام ، مازن مليح ، الي أكثر من ثلاث أيام عم جرّب إتصل فيه وما عم بيرد علي»

هزّت برأسها وهي منكّبةً على غسل الاطباق وأماني تقف بقربها تراقبها بشرود « ما بعرف ، ما بعتقد إنّه في شي ، إذا بدّك بسأل عماد »

«نعم ، سأليه ، هكلاني همّه كثير ، آخر مرّة شفته بالقهوة وما عاد حكاني من يومها »

« دخلك شو صار مع إمّك ، رجعت ولاّ بعد ؟»

زفرت أماني أنفاسها بحزن « ما بعرف شو عم بيصير ، بابا عم يطلع من الصبح مش عم يرجع لآخر الليل ، قالتلي دادا سميرة إنّه بابا عم بيدوِّر على عروس ، قال شو!! بدّو يتزوج غير ماما »

« عنجد ؟؟؟ شو!!! هاي منها أوَّل مرّة بيك بيعمل هيك ، مستحيل عمّك سليم يخلّيه يتزوج على إمّك ، كلهم بيعرفوا إنّه بيك واحد نسونجي وإمك الّي إنظلمت بحياتها كلها معه »

تنهّدت بإرهاق « أصلاً والله ، صدقيني ، مش هاممني ، يروح يتزوج ، بلكي بيعرف قيمة ماما أولاً وبيعتقها من جنونه وغيرته وأخلاقه الشنيعة ، خليه يتزوج ويريحنا بقا ، وثانياً بلكي بيريحنا من النق والعياط والتعصيب، عطول بيطلع الحق على ماما بكل شي ، لك حتّى إذا خسر شي صفقة بالشغل بيطلع الحق على ماما القاعدة بالبيت ومنها مهتمة لشغله ، شو يعني لازم تعمل ، تروح معه على المشتل » سكتت أماني تحاول التوقف عن الكلام ، إذ عندما تبدأ بالحديث عن طباع والدها تشعر بالحزن والغضب والارهاق ، باليأس بأن حياتها من المستحيل أن تأخذ منحنى آخر تجد فيه خلاصها وراحة بالها .

عادت سلام إلى عملها تغسل الاطباق بشرود تفكّر بالمسكينة أماني ، كم من مرّة مرّت بهذا الوضع وتعود والدتها عند أوَّل محاولة من والدها كي لا يتزوج ويجلب لهم خالة تعذّبهم وتسوّد عيشتهم .

«دخلك سلام ، بجد أنا مش عارفة شو قصته مازن ، لك حتّى ما عم بيرد على رسايلي »

****

تفقد مازن هاتفه للمرّة المئة زافراً أنفاسه بنزق ، الا تمل ، إتصالات ورسائل ، الم تفهم أنّه لا يريد مخاطبتها ، ملّ منها ومن عفّتها ورصانتها .

«مازن ، شو صرلك ، في شي زعجك » سألته نادين مندسةً به أكثر ، مطالبةً بإهتمامه وهو إبتعد عنها بعفوية ، لا يعرف ماذا يحصل له ، فجأة تغير مزاجه وما عاد يرغب بوجودها .

«ما بني شي نادين ، بس أنا لازم روح ، بحكيكي بعدين أوك » قال واقفاً عن الاريكة منتشلاً قميصه معيداً إرتدائه يستعد للمغادرة وهي وقفت برهقة ماطةً شفتيها بدلع ملتصقةً به تتلمس صدره بإغراء .

أمسك بكفِّها موقفاً إيّاها يراقب ملامحها، شفتيها المكتنزتين التين كان يلتهمها منذ قليل ، جسدها المكشوف والرهن إشارته ، فقط عليه أن يطلب وهي تلبِّي ، متى شاء دون قيود أو وعود، ولكنّ هناك شيئ بباطن ضميره ينهره بوهن،يبرد رغبته ويدفعه للهرب .

«ماما إتصلت في ، معاوزة شوية غراض لازم روح إشتريهم » « طب وإيمتى بترجع ، آخر مرّة كنّا سوا من أشهر ، أنا ما صدّقت إنَّكَ إتصلت وقلت إنَّكَ جاي »

إبتعد عنها غير قادر على البقاء أكثر ، أسرع نحو الباب « لشوف ، أيمتى بيصير معي وقت ، يلا ، باي » ورحل ، تركها ورحل وهو يشعر بضيق رهيب يطبق على صدره ، يشعر بالاختناق ، لا يعرف سببه ولا يعرف ماذا عليه أن يفعل به ؟؟؟؟

****

«شو صار معك ، حكيتي مع عماد ، خبّر مازن إنّه الليلة في عرس ، وَإِنَّه أنا رايحة .»

خططت سلام شفتيها بقلم التخطيط تتأمّل عملها بإعجاب « لك أه خبّرته ، وقال رايحين سوا »

«دخلك وما سأله ليش مش عم يحكيني ويرد على إتصالاتي

»سألتها أماني بحزن

«قال تليفونه إنكسر ، ومش عم يقدر يتصل منه »

جلست على حافّة السرير تشعر بالاختناق ، هذه ليست بحجة مقنعة ، هناك أمر ما ، كان يمكنه إستعمال هاتف عماد كي يطمئن عليها ، لقد مرّ أكثر من أسبوع .

****

تجمّد مازن مشدوه الفاه يراقب أماني وسلام تدخلان صالة الافراح ، هذه المرّة الاولى التي يرى فيها أماني ترتدي فستاناً ، قصيرا لتحت ركبتيها بقليل ، أسود يضاهي سواد شعرها ، وعيناها اللّتان تبرقان وحاجباها الطبيعيان المرسومان بإتقان ، شفتيها الحمراوتان كحبّتي كرز مكتملة النضوج ، وترتدي صندلاً أحمراً ، ما هذا؟؟ أتريد قتله هذه الفتاة ، وإذ بشاب يستوقفها منتصف الطريق ملقياً عليها التحيّة وهي وقفت تتحدّث معه بطلاقة ، تبتسم وتضحك وتتمايل بدلع .

إنتظر وإنتظر ويبدو أن ذلك الشاب لا يريد التراجع .

شعر بأنّه على وشك الانفجار ، مندفعاً نحوهما وإذ بعماد يقف بطريقه « هاي ، شو مفكر حالك راح تعمل ، ها إبن عمّها ، وإنت واحد غريب ، حتى إنَّكَ مش من الضيعة ، إذا إجتمعوا عليك أهل الضيعة بيعجنوك »

زفر مازن أنفاسه الحارّة بغضب شنيع ، يشعر بالدماء تفور بعروقه ، قبض على كفيّه محاولاً السيطرة على نفسه ، ماذا تفعل به هذه الفتاة ، لقد أتى الليلة مقرراً إنهاء علاقته بها نهائياً ، إنّه ليس من مستوى هذه العلاقة وبالتأكيد لا ينوي الزواج منها ، إنّه رجل العلاقات العابرة ،وضعه وإمكانياته لا يسمحان له أن يرتبط ، يكفيه أمّه وأخواته .

ودّعت أماني إبن عمّها وإتجهت إليهما ، تراقب مازن بشوق عاجزة عن إخفائه من ملامحها ، لقد إشتاقت اليه حدّ الجنون ، تتأمّل تفاصيله الخلاّبة ، البارحة حلمت بأنّها تقبّله لتشعر بقلبها يغوص بأعماقها ، وكأنّها قبلة حقيقة ، حلمت بأنّها تشبك أناملها بين خصلات شعره وتقبّله بشراهة لتستيقظ فزعةً تشعر بأنّها إقترفت جرماً لا يغتفر ، آه ، ولكم شعرت بالارتياح عندما إكتشفت بأنّه مجرد حلم ، إنَّها إنسانة مؤمنة وتعرف حدود الدين والشرع ومن المستحيل أن تقترف خطأً كهذا ، لأنها تعرف أن القبلة بكل تأكيد ستجر لأمور أكثر تعقيداً وحرماً .

وصلت اليه بإبتسامة خجله وعتاب ، هل طاوعه قلبه على فراقها لكل هذا الوقت لتُفاجأ ببرودته ، يرمقها بحنق شديد ، نظراته غاضبة ، وكأنّها إقترفت جرماً رهيباً .

وبدل إلقاء السلام قال « شو ها أماني ، من أيمتى بتلبسي علقد قصير ، أنا ولا مرّة شفتك لابسة فستان قصير هيك »

إجتاحتها موجه من البرد الشديد ليتبعها مباشرة موجة حارّة تركتها عاجزة عن التعليق أو الكلام ، ليعلّق عماد يحاول تلطيف الاجواء.

« كثير طالعة حلوة ، وفستانك كتير لابقلك ، سلام ، خذي أماني وروحو دبكو »

أمسكت سلام بكف أماني المرتعش وقادتها أمامها نحو الحمّام .

لتخرج أماني شهقة حارقة لحظة أطبق باب الحمام عليهما« هاي ، هاي ، هدي ، راح تنزعي مكياجك»

حاولت أماني حبس دموعها لتنحبس الدماء بوجهها مسبّبةً إحمراره الشديد ، لتخرج شهقة تانية مسترسلةً بالبكاء « ليش عم يعمل معي هيك ، أنا شو عملتلو ، إذا متضايق مني يجي يخبرني ، مش يتجاهلني ويقسى علي »

إحتضنتها سلام تطبطب عليها « خلص ، هدي ، ما تفضحينا ، نحن بعرس ، إسا الي بيشوفك عم تبكي بيروح فكرهم لشي مش مليح »

رفعت أماني رأسها عن كتفها ترمقها بتساؤل « مثل شو يعني ؟؟»

إبتسمت سلام معلّقة « شو بيعرفني ، شو أنا بقرأ أفكار ولا قاعدة بعقلهم »

إبتعدت عنها متوجّهة نحو المرآة قائلة بصوتها المتهدّج « دخيلك ما أسألك ، ها إبن خالتك واحد بده ترباي ، إسّا بتشوفي شو راح أعمل فيه »

مسحت دموعها وغسلت وجهها معيدة تبرجها الطفيف وخرجت مستعدة له .

عادت أدراجها مباشرة إلى حلقة الدبكة ، وهو ما إنفك يراقبها بترقب ، عيناه تلاحقانها بكل إتجاه ، ليجد أن كل عيون الشباب شاخصة عليها ، يراقبونها بإعجاب ، حتى أنّه رأى بعضاً منهم حاول التقرّب منها ومحادثتها وهي صدّتهم بكل إحترام ولكن هذا كلّه لم يمنعهم من إتخاذ زاوية محايدة ومراقبتها من بعيد كما هو يفعل ، شعر بأنّه غير قادر على تحمّل المزيد فأخذ هاتفه وإتصل منه .

شعرت بهاتفها يهتز بمحفضتها الصغيرة ، أخذتها لتُفاجأ برقمه على الشاشة ، القت نظرة خاطفة إلى مكانه لتجده لم يتحرك منه طوال السهرة ، وعلى مرأى من أنظاره صدّت إتصاله عائدة إلى صديقاتها متجاهلةً محاولاته العديدة في الاتصال بها .

جال عماد بنظره بينهما يبتسم بينه وبين نفسه ، نعم ، أماني قوية ، ومهما كانت وسامة إبن خالته إلاّ أنّها تعرف كيف تقاومه بكل برودة . يستحق ذلك .

إستمرت طوال الحفلة بتجاهله مع أنّها كانت تتوق للإقتراب منه النظر اليه ، الغوص في متاهات عينيه ، سماع نبرة صوته العميقة التي تشعر بها تخرج من حنجرته صافية ، تنشق رائحته التي أدمنت . ولكنّها رغم كل ذلك إستمرت بتجاهله ، إلى آخر السهرة، لتُفاجأ بحسام ذلك الشاب الهمجي كابوسها منذ سنوات ، الّذي كان يلاحقها بإستمرار أين ما ذهبت مثيراً ذعرها ورهبتها بطوله الشاهق وجسده الضخم وعيناه اللتان تلاحقانها دائماً مصرّاً على التحدّث اليها وهي كانت تصر بالرفض. ماذا يفعل مع مازن يحادثه بغموض؟؟

«سلام ، دخلك شوفي هانيك ، من أيمتى مازن بيعرف حسام »

التفتت سلام بإتجاههما ليبدو عليها القلق والتوتر عائدة بإنتباهها إليها قائلة«أنا نسيت خبرك إنّه الافندي هدّد مازن إنّه إذا قرّب منك راح يشوف منه شيئ ما بيعجبه »

شهقت أماني مرتعبة « شووووو !!! أيمتى صار هذا الشي »

«صار بعد فترة من تعارفكم ، راح على محل المفروشات وهدّده بكل وضوح ، بدون لوفكة وطول سيرة »

«وشو قلّه مازن ؟؟؟»

«قلّه البنت بتحبني وبدها ياني أنت شو دخلك ، أذاً بتجي هي وبتقلي أنا بدي حسام بتركها وما بتدخل بيناتكم ، بس على أي أساس عم تطلب مني إبعد عنها »

«وبعدين؟؟!!»

قلبت سلام عيناها بحنق « وشو بيعرفني ، أنا سمعت مازن وعماد عم يحكوا عن الموضوع وما عرفت شو صار بعدين ، بس أكيد مازن قدر يحلّه لأنّه بصراحة ما عدت لاحظت هذا اللئيم عم بيلاحقنا وين ما رحنا ، حتّى سمعت إنّه بده يخطب »

تنهّدت أماني بإرتياح « آه ، الحمدلله ، الله يوفقه ويبعده ، دخلك ، كان عاملي كابوس بحياتي ، مليح لاقى وحدة تبعده عني »

ضحكت سلام قائلة «آه ، الحمدلله ، إرتحنا منه ومن دروبه المخيفة ، بس عنجد كان بيحبك بس همجي ما عرف كيف يدخل بالمعروف »

نخرت أماني ضاحكة « الله ستر ، أصلاً كيف ما كان كنت مستحيل إقبل فيه ، منظره كان بيثير ذعري حدّ العظام ، بيخوّف »

ودّعت صاحباتها وتوجهت هي وسلام نحو موقف السّيّارات ، رمقته بطرف عينها من بعيد تفتش عنه لتجده قد إختفى من المكان الذي إتخذه لنفسه مرقداً منذ أول الحفل . نقف قلبها ذعراً ، أين هو ؟؟؟

خرجت وراء سلام شاردة الذهن تفكر به ، العتمة تلف المكان من كل إتجاه فأسرعتا بخطاهما نحو السيّارة لتُفاجأ به هناك ينتظرها ، شهقت بذعر متفاجئة من وجوده قرب السيّارة بالعتمة الشديدة ليقول آمراً بدون مقدمات «سلام، لو سمحتي ، أدخلي على السيارة ، أنا معاوز إحكي مع أماني شوي»

ترددت سلام بإطاعته ترمق أماني منتظرةً منها إشارة فومأت لها أن تفعل مولياةً إنتباهها إلى مازن ، كتّفت ذراعيها عند صدرها قائلة « شو بدّك مازن ، حكي بسرعة ، إذا شافنا حدا بيحكي علينا »

جال مازن بنظره حول الموقف ، الظلمة حالكة ، لو رأوهم لن يعرفونهم الاّ إذا إقتربوا منهم كفاية ولكنّها محقّةٌ « ليش مش عم بتردي على إتصالاتي »

رفعت حاجبها ترمقه بالظلمة ، لا ترى منه شيئ سوى بريق عينيه الفاتحتين «عنجد، وليش حضرتك ما كنت عم بترد على إتصالاتي من أكثر من أسبوع ؟؟»

« تليفوني كان معطَّل »

ضحكت بسخرية « صدّقتك » وإستدارت هامّة بالمغادرة فأمسكها من ساعدها « أوك ، أوك ، راح خبرك »

عادت اليه تريد سماع تبريره ، تتمنى أن يكون مقنع ، لأنَّها لا تريد أن تتخلَّى عنه ، إنَّها تحبّه .

سكت شابكاً أصابعه بخصلات شعره البني ، زفر أنفاسه الحارّة قائلاً «أماني ، أنت شو بتعرفي عنّي ؟؟»

« شو قصدك ؟؟؟»

« قصدي شو بتعرفي عني ، عن عيلتي ، حياتي ، وضعي؟؟ »

فتحت فاها بنية الاجابة ، لتعود وتصمت ، أين يريد الذهاب معها بهذا الحديث؟؟

«أماني ، أنا عايش مع إمي وإختين بنات ، خواتي عم يتعلّموا ، بيشتغلوا بالصيف كم شهر وبموسم الجامعات بصير أنا

مسؤول عن كل حاجياتهم وحاجيات البيت وإمي ، يعني فيكي تقولي أنا عندي بيت ومسؤولية عيلة كاملة ، ومن المستحيل إنّي إقدر إفتح بيت ثاني إذا قررت إني إرتبط وإتزوج »

شعرت بالاختناق ، عاجزة عن التنفس ، هل الحياة ستكون ظالمة معها لهذه الدرجة « مازن ، أنا بقبل عيش مع إمك وخواتك بالبيت ، ما عندي مشكلة » أجابته بدون تردد بصوت متهدّج ، خائفة من ردّه .

سكت مازن متفاجأً ، لا يصدق ما تفوّهت به للتو ، هل هذه ملاك أم وهم لا وجود له بالحياة الحقيقة ، أم أنّها تقول هذا لأنّها لا تعرف حقيقة الوضع الرديئ الذي يعيش فيه .

« حبيبتي ، وإذا رحت طلبتك من بيك بيقبل فِيّ وبظروفي ؟»

كتمت فمها بكفِّها تهزّ برأسها بعجز ، لم يتحمل رؤية تلك الدموع بعينيها ، إقترب منها يواسيها« بصراحة أنا ضايع ، مش عارف كيف بدّي إتصرف ، ما بدّي علقك معي وبالنهاية علاقتنا ما راح توصل لمحل »

« يعني بدّك نفترق ، كرمال هيك ما عدّت رديت على إتصالاتي ، كل هذا الوقت وإنت مقرر ننفصل وأنا آخر من يعلم ، ما كنت عارف بظروفك يوم طلبت تتعرف علي »

أحلام القادري

إستدار عنها يحاول موراة غضبه وحزنه عنها ، لم يكن يعلم بأنّه سيقع أسير حبّها ، بأنّها ستقلب كيانه دون أن تعطيه قبلة حتى ، يا لغبائه .

« هيك أحسن أماني ، كل واحد يروح بطريق من بالوقت أحسن من بعدين »

التفت لحظة سمع صوت باب سيّارتها يغلق ، دخلت اليها وأدارت محرّكها وإنطلقت بإندفاع ، دون أن تنظر اليه حتّى ، وهو وقف يراقب سيّارتها الفخمة الغالية الثمن تخرج من الموقف بشموخ وعنفوان ، زفر أنفاسه بعمق يفكر بما أقدم على فعله ، لقد خسرها ، خسرها قبل أن يحصل عليها حتّى .

****

أوقفت أماني سيّارتها أمام منزل سلام تنتظر نزولها ولكنّ الاخيرة عجزت ْن تركها وهي تشعر بأنّها علي وشك فقدان رباط جأشها .

« أماني ، شو صار معكم ، خبريني ؟؟؟»

وكأنّ أماني كانت تنتظر هذا السؤال للإنفجار بالبكاء المرير ، عاجزة عن التنفس أو الكلام ، القت برأسها إلى كتف

صديقتها وراحت تبكي وتبكي وتبكي دون توقف إلى أن هدأت قليلاً بعد فترة طويلة قائلة وسط تنهّداتها «تركني ، تخلّى عني ، قال بأنّه ما فيه يتحمل مسؤولية زواج وإرتباط » كتمت سلام أنفاسها بغضب ، إبن خالتها اللعين ، لقد كسر قلب صديقتها العزيزة ، يا ليتها إستمعت إلى عماد ونصحتها بالابتعاد عنه ، ولكنّها وجدت نفسها تحقق حلمها عبرها ، لطالما كان مازن يعجبها وتتمنى نظرة منه وعندما أعجب بصديقتها فرحت لهما كثيراً وكأنّها هي من سيعيش قصّة حبّهما ، كانت متحمسة جداً لهما ، يا لها من غبية .

دخلت أماني غرفتها تتأملها بغربة شديدة ، كانت تظن بأنّها سترحل عنها قريباً ، سترحل من هذا المنزل إلى منزل زوجها المصون ، حبيبها مازن ، ولكن يبدو أن مازن لديه خطط أخرى لا تشملها . تنهّدت بحزن وأسى مغيّرةً ثيابها مندسّةً بسريرها تبكي بخفوت ، علّها تخفف من وطأة الحزن القابعة فوق صدرها ، والدتها عادت منذ يومين ، ذهب عمّها اليها وأعادها إلى المنزل مهدداً والدها بأنّه إذا أراد أن يتزوج فاليتزوج بعيداً عن هذا المنزل ولا يعود اليه ، عمّها سليم أكبر من والدها وهو الذي قام بتربيته بعد وفاة جدّتها عندما كان والدها مايزال

صغيراً ، حيث قام جدّه بالزواج من آخرى وإهمال أولاده الثلاث الصبيان والدها هو الأصغر وعمّها سليم هو الأكبر وعمّها الثاني سامي يعيش بكندا مع عائلته .
إنَّها تقضي معظم وقتها بغرفتها عندما تكون بالمنزل كي تبقى بعيداً عن مرأى والدها وثورته الدائمة ، ما الذي يثير غضب هذا الرجل ، إذ دائم الصراخ والشتائم ، يغضب على أبسط الامور ، على زيادة الملح بالطعام ، قلّته ، زيادة نضوجه ، قلّة نضوجه ، ساخن جداً ، بارد جداً ، الشاي ثقيل ، الشاي خفيف وبإمكانها أن تعدّ حتّى الصباح . تنهّدت بحزن مغمضة عيناها ناشدة النوم .

****

بعد أسبوع
خرجت من حرم الجامعة مع مجموعة من صديقاتها ، تتناقش معهم مادّة علم النفس ونظريات فرويد وإذ بها تستشعر وجوده ، إذ جميع صديقاتها صمتن فجأة يحدقن بشيئ يقف خلفها بإنبهار تام ، التفتت لتراه خلفها ، لينقف قلبها بين أضلاعها ناشداً الركض اليه دون رادع ، صمتت هي الاخرى محدّقة به بتساؤل ، ماذا يفعل هنا ؟؟؟

« مرحبا أماني ، فِيّ إحكي معك لحظة لو سمحتي » سألها بكل ثقة ، ثقة تعشقها به ، إذ يفرض حضوره بأي مكان دون رادع .

عادت بإنتباهها إلى صديقاتها اللواتي كنّ ما يزلن يحدّقن به بوقاحة تامة ، وهو القى اليهم التحية وإبتعد عن دربها قليلاً ، تنحنحت لاحقةً به .

جلسا تحت شجرة من السرو ينعمان بظلها .

جلست قربه تتأمّله بصمت ، يبدو عليه التعب والارهاق ، يبدو مهموماً« مازن ، باك شي ، مبين عليك التعب »

إلتفت اليها يناظرها بإبتسامة مغتصبة ، يتأمّل هذه الفتاة التي هدمت كل حصونه المنيعة ، جعلته يريد أن يثور على وضعه وحياته ، يريد المزيد ، يريدها بأي وسيلة كانت ، وإذ كان الزواج هو الحل الوحيد ، سيتزوجها بأي ثمن ، المهم أن يروي عطشه منها ، أن يستلذ بقربها وبراءتها وطيبتها ، يريدها .

« أماني ، أنا مش قادر إبقى بعيد ، أنا بحبّك كثير وبدي ياك ،حكيت مع عمّي حتى يقرضني شوية مصاري ، راح إفتح شغلة وبس يتحسن حالي المالي شوي راح أطلبك من بيك ، شو رأيك »

قفز قلبها من مكانه فرحاً وحماساً ، نعم ، نعم ، إنَّها تقبل ودون تردد .
ضحكت عيناها قبل شفتاها قائلة « أنا معك ، ومستعدة أنطرك لأخر العمر ، معك مازن »
وهو تنفس الصعداء أخذاً كفّها بين كفيّه متمنياً لو أنّه يستطيع ضمّها الى صدره وتقبيل هاتين الشفتين اللذيذتين اللتان تزورانه دائماً بالاحلام .
لقد كان الاسبوع الماضي أسوأ أسبوع مرّ على حياته ، نعم ، الآن يستطيع العودة إلى حياته السابقة مطمئنّاً ، أن أماني له ولن تكون لغيره مهما طال بهم الزمن .

****

صرخت سلام بها ، لا تعرف أتفرح لها أم تغضب منها « وهيك وبكل سهولة رجعتيله ، أنت مجنونة ، على القليلة عذبية شوي متل ما عذّبك »
هزّت كتفيها بعدم مبالاة « ولشو لعب الولاد ، مدام أنا مقررة إرجعله ليش حتى إتدلع عليه ، خلص ، أنا ما صدّقت قلّي

نرجع ، كنت بعد شوي بدي أقعد بحضنه وبوسه من فرحتي » قالت ضامّةً كفّيها إلى صدرها تبتسم بسعادة عارمة .

لتشعر بحزن سلام التي سكتت دُفعةً واحدة « سلام ، حبيبتي ، شو صرلك »

جلست سلام على حافّة السرير تراقب محيطها بحزن « أولك راح يجي اليوم ولاقي حدا يحبني ويطلب إيدي للزواج ، صار عمري ١٩ سنة وبعد لحد إسا ما إجاني عريس جد ، كلهم صايعين وصغار خرج طق حنك وبس »

إبتسمت لها برفق « إنت كثير حلوي ومهضومة وطيوبة وأكيد راح يجيك إبن الحلال الي راح يحبك كثير ، بس إنت إنطريه ليجي »

لتضحك سلام مسترسلةً مستلقيةً على السرير من فرط الضحك ، فتعجّبت أماني منها « لك شو صرلك ، إسا كنت عم تبكي »

إنتظرت سلام حتى هدأت ضحكتها قليلاً معلّقةً « الظاهر إنّه ما عاد في ولاد حلال بها الدني كلهم ولاد حرام ، كرمال هيك مش عم يجيني عريس ، الكل بيدعيلي الله يرزقك إبن حلال ، إبن حلال ، شو رأيك تصيروا تدعولي الله يرزقك إبن حرام ، أنا متأكدة إنّه بيجي من بكرا »

لكمتها أماني على كتفها بخفّة « يا مجنوني ، وشو بدنا فيهم ولاد حرام ، خليهم عند أهلهن أحسن النا والهن »
حدّقت بها سلام بتمعن تفكر بكلامها « نعم ، والله معك حق »

****

« لك يلاّ جاي ، مش راح إتأخر خمس دقايق بكون عندكم »
أغلقت أماني هاتفها ترتدي معطفها وقبّعتها الصوفية مستعدّة للثلوج المتساقطة والبرد الذي يلف المنطقة « ماما ، أنا رايحة لعند سلام ، بدّك مني شي ؟؟»
« لا حبيبتي ، إنتبهي على حالك وسوقي على مهلك ، الطرقات كلها تزحيط »
إحتضنت أمّها بحنان تقبّلها بحرارة ، آه ، لكم تحب والدتها وتشفق عليها ، والدتها الحبيبة التي تحمَّلت كل قسوة وإهانات وبرودة مشاعر والدها من أجلهم ، هي وإخوتها ، إحتضنتها بقوّة « بحبك كثير ماما ، أنت أطيب إم بالدني »
قبّلت حسناء وجنة إبنتها الحبيبة قائلة « شو رايحة تشوفي مازن عند سلام ، كيفك إنت ويّاه »

إبتسمت أماني بسعادة « نعم ، ناطرني هانيك ، بدنا نطلع على جبل الباروك حتى نلعب بالثلج ونتصور هانيك ، تعي روحي معنا »
« روحي إنبسطي حبيبتي وإنتبهي على نفسك »

أوقفت أماني سيّارتها أمام منزل سلام ضاغطةً على الزمّور بحدّة ليخرج الجميع دُفعةً واحدة يتذمرون من الازعاج الذي سبّبته « أوك ، أوك ، جينا ، يلاّ»
فتح مازن بابها مشيراً اليها أن تنزل « شو ، بدنا نروح بسيارتك ، سيارتي بتمشي أحلى على الثلج »
«نزلي، أنا راح سوق وحضرتك قعدي حدّي مثل الشاطرة»
إبتسمت له بعمق نازلة من السيارة وهو إستغل قربّها جاذباً إيّاها اليه يتنشق رائحتها بوضوح تام مغمضاً عينيه يستلذ بنشوة ، وهي شهقت دافعةً إيّاه عنها متذمرة « مش معقولة ، صايرين إيديك طوال ميزو »
ضحك يهزّ برأسه « ميزو ، منَين جبتيها هي مَنُّون »
غمزت له هاربةً من أمامه ليعلّق عماد «يلاّ بدنا نلّحق نروح ونرجع قبل ما تغيب الشمس وتجلّد الطرقات »

هو يقود السيّارة وهي تراقب الطرقات والطبيعة الملتحفة بغطاء ناصع البياض بإندهاش ، تراقب الطبيعة بعين طفل يراها لأول مرّة ، ومع كل مسافة يخطوها نحو الاعلى تزيد دهشتها من روعة ما ترى ، إذ تنكشف منطقة البقاع من الأعلى تدريجياً، تراها بكل تفاصيلها « مازن ، مش معقولي ، شوف بحيرة القرعون شايفتها كلها من أوّلها لآخرها ، شوف.....آه وكمان كأنّي عم إطلّع على البقاع عن الخريطة ، كله بقع ، بقع ، مربعات ومثلّثات وأخماس ، والجبال كلها مبينة من أوّلها لآخرها ، شايفة قدامها وخلفها »

ضحك مازن يراقب دهشتها بإستمتاع « أنت عارفة ليش البقاع إسمه هيك »

نظرت اليه بتساؤل « لا ، ليش بيقولولو البقاع »

« لإنك إذا تطلّعتي عليه من الاعلى مثل ما إنت عم تعملي بالوقت شو بتشوفي؟؟؟»

عادت بنظرها إلى منطقة البقاع ، التي عاشت فيها طوال حياتها ،وكأنّها تراها لأوّل مرّة ، مقسّمة إلى بقع ، بقع وبقع ، مختلفة الاحجام والاشكال إبتسمت ضاحكة « إسمها البقاع لأنّها شكلها مثل شكل البقع ، لك حتّى الاراضي المزروعة

بالخضرة لونها بيختلف من مربع لمربع، شي فاتح وشئ غامق
»
ومأ برأسه مبتسماً لها عائداً بإنتباهه إلى قيادة السيارة
بطريق الجبل الضيّق الذي يقود إلى منطقة الباروك حيث ينمو
شجر الأرز ويغطّيها الثلج طوال أشهر فصل الشتاء
والخريف .

نزلت من السيّارة مسرعة نحو سلام وعماد وخطيبته روان ،
وبحماس طفولي أسرعت تساعدهم بتفريغ الاغراض ، بعض
المأكولات والمشروبات الساخنة وألواح التزحلق ، المكان يضج
بالناس ، التفتت تفتش عن مازن لتقف مشدوهة تراقبه يتحدّث
إلى إمرأة تقف أمامه بطريقة مغرية وكأنّها على بعد لحظات
من تقبيله ، إشتعلت غيرة تاركة ما تفعله مسرعة اليه لتراها
تدخل شيئاً على هاتفها، وإذ بمازن يبادر بسرعة لحظة رآها
بقربه « حبيبتي ، هاي رفيقة قديمة كنت أعرفها من زمان ،
شفتي الصدف ، التقينا هان »
رمقتها المرأة بنظرة تفقدية تبتسم لها بخبث ، مما أثارت شكوك
أماني حولها «أوك مازن ، بحكيك بعيدين باي » ورحلت
تتهادى بمشيتها وكأنّها تتقصد إتخاذ وقتها بعرض مؤخرتها

الضخمة أمامهما ، وأماني جأرت مازن تاركة إيّاه عائدة إلى سلام فإستوقفها قائلاً « شو ها النظرة المتوعدة أماني ، بتعرفي ، خليتيني أشتهي بوس ها الشفاف المكزرة »

« ليش عطيتها رقم تليفونك ؟؟» سألته بحنق

« طلبته منّي بقلها لاء »

« نعم ، قلها ما معك تلفون ، وبتحكيك بعدين ، شو بدها تحكيك » قالت بنبرة مائعة

« أماني لو سمحتي ، نحن جايين ننبسط ، لذا ما تعكري مزاجي بغيرتك الي مش بمحلها ، وتعي لئلّك » قال حاملاً إيّاها بين ذراعيه راكضاً بها نحو جبل الثلج أمامهما لتبدأ قدماه بالغرق حدّ ركبتيه معسّرة تقدّمه فرمى بنفسه آخذاً إيّاها فوقه وهي صرخت تحاول التحرر من بين ذراعيه لتسكن فجأة فوق جسده تفتش عن وجهه بين كومة الثلج التي تطمرهما ، هزّ رأسه يميناً وشمالاً كاشفاً وجهه جاذباً إيّاها اليه أكثر يتأمّل عمق عيناها ، وهي حبست أنفاسها تتأمّل ملامحه عن قرب رهيب ، تتأمّل عمق عينيه وروعتهما ، وإذ به وبحركة خاطفة يطبع قبلة سريعة على وجنتها لتنتفض مذعورة تؤنّبه « مش معقول ، إذا عدتها مرّة ثانية راح إصفعك كفّ يلفّك لف »

قهقه يزحف على أربعة يحاول الوقوف على قدميه ليعود ويقع جاذباً إيّاها فوقه من جديد« مازن ، بجد ، أنت عم تقصد توقع حتى توقعني فوقك ، يا قليل الأدب » صرخت به تحاول التحرر من بين ذراعيه من جديد وهو تمسّك بها متذمراً « يا رب يا أماني ، في كومتين ثياب فاصلين بيني وبينك ، مش شايفة حالك لابسة كل الخزانة »

شهقت بإستنكار تلكمه على صدره « بدّي موتك ، تعى لئلّك » قالت جالسةً عليه بكل عزم دافنة إيّاه أكثر بالثلج حتى إختفى نهائياً فإضطر لتحرير جسدها كي يبعد الثلج عن وجهه فإبتعدت عنه تتدحرج بجسدها حتّى وجدت مكان صلب قليلاً فتمكّنت من الوقوف بعد عناء طويل هاربة منه نحو البقية .

« لك وين رحتوا ، وليش ثيابك مليانين ثلج كأنّك كنت غرقاني فيه »

نفضت أماني ثيابها بحنق معلّقة « لأنّي كنت غرقاني بالثلج عنجد ، إبن خالتك رمى حاله ورماني معه بكومة ثلج طوله ، مليح ما متّنا »

ضحكت سلام معلّقة « آه ، عنجد مليح ما متّو »

جأرتها أماني « شو ، عم تضحكي علي »

التفتت خلفها تراقب مازن ينفض جسده يحاول تنضيفه من الثلج الملتصق به ، «وين عماد وروان ؟؟» سألت تفتش عنهما «عم يتزحلقوا ، مستعجلين ، يلاّ أنا كنت ناطرتكم»

« أوك ، يلاً ، أنا راح إتزحلق معك وخلّي مازن يتزحلق لوحده » جذبها مازن من ذراعها « سلام إنت روحي إتزحلقي لوحدك وأنا مع أماني »

« بس أنا بخاف لوحدي » أجابت سلام بذعر

«أوك ، شو رأيك مازن دور معي ودور مع سلام »

«شووووو!!!!!» أجاب بإستنكار رهيب مثيراً ذعرهما وكأنّهما إقترفتا خطيئة بحقّه .

« إمّا هيك وإمَّا لوحدك ، شو رأيك » قالت أماني مكتّفة ذراعيها عند صدرها بتحدّي ، وهو أذعن لهما وكأنه منقاد إلى الذبح « طيّب ، راح يجي يوم ودفعك الثمن غالي يا ست أماني »

جلست أماني ورائه مندسة به واضعةً ساقيها على جانبيه حاضنة إيّاه بتملك ، وعندما تأكد بأنّها جاهزة للإنطلاق ، دفع بنفسه نحو المنحدر ليتزحلقا بسرعة رهيبة نحو الاسفل ، صرخت فرحاً ونظراً لإزدياد نسبة الأدرينالين بدمها مندسةً به

أكثر ملقيةً برأسها إلى كتفه من الخلف تحمي وجهها من زذاذ الثلج الذائب الذي يضرب وجهيهما بسرعة عظيمة كأنّه أسواط رقيقة دقيقة تجلد بشرتيهما الحساسة .

المنحدر طويل ، آخذاً وقته معهما حتى وصلا لقعره لتبدأ سرعتهما تخفّ تدريجياً إلى أن توقف نهائياً . ولكنّها لم تحرّره ، بل بقيت متمسكّة به يشعر بأنفاسها المتسارعة إلى أن هدأت فحرّرته ببطئ متمتةً « هذا رائع ، رائع ، بحياتي ما حسّيت بسعادة وفرحة مثل بالوقت ، أنا بحبّك مازن بحبّك كثيراً»

أغمض عيونه يحاول إحتواء رغبته القاتلة في الاستدارة اليها وإستلام شفتيها بقبلة شهية دافئة ، ليشعر بها تبتعد عنه مسبّبة شعوره بالبرد المفاجئ قائلة بصوت مذعور تتأمّل المنحدر الذي إنزلقوا منه « يا الله ، كيف بدنا نطلع كل ها المسافة مشي على إجرينا »

وقف من مكانه أخذاً بكفِّها المغطى بقفّاز سميك جداً« لا ، هانيك في باص بينتظر على جنب الطريق بيطلّعنا لفوق على الهضبة من جديد ،يلاّ بسرعة حتّى نلحقه قبل ما يمشي »

جلس بقربها عاجز عن نزع نظره عنها ، لقد وقع ، وقع ولمس القعر ، إنّه يعشق هذه الفتاة بكل ما يملك من مشاعر ، والآن

ماذا ، ماذا عليه أن يفعل ؟؟ عمّه رفض إعطائه مبلغ المال الذي طلبه منه ، ولم يتجرّأ على إخبارها ، لن يستطيع الزواج منها بحالته هذه ، إنّه لا يملك شيئ لإعطائها ، لقد قدّم طلب قرض من البنك وينتظر ردّهم عليه الاسبوع القادم ، البنك هو أمله الوحيد والآخير .

التفتت اليه بإبتسامتها الرقيقة والطيبة ، إنَّها أجمل شيئ حصل بحياته ، وعليه أن يحصل عليها بأي ثمن ، سيموت إذ فقدها ، إذ لم ينجح بالزواج منها سيموت .

****

خرج من البنك يحاول تمالك نفسه وأن لا ينفجر غاضباً عليهم جميعاً بالداخل وإحداث فضيحة كبيرة .

لقد رفضوا طلبه بحجّة أنّه لا يملك أي موارد ليرهنها ، إنّه لا يملك أرض ولا سيّارة غالية وحتّى منزلهم لا يغطي ثمنه نصف المبلغ الذي يطلبه .

لو أنّه يملك أرضاً أو منزله غال الثمن لما كان يلجأ الى الاقتراض ، حقيرين ، أغبياء ، سارقين .

وصل لأمام سيّارته ركلها بعنف شديد مسّبباً الماً عظيماً بقدمه ، شتم حظّه وحياته ومستقبله وماضيه ، دخل سيّارته يشعر بالانهيار التام ، لقد أُغلقت جميع الأبواب أمامه ، لقد خسر أماني ، وهذه المرّة إلى الابد .

رنّ هاتفه ، تفقّد المتصل ليغلقه نهائياً ، لا يريد التحدّث مع أحد .

هل هذا عقابه ، عقاب الله له ، لقد عاش حياته كلّها يتنقّل بين الفتيات كقطعات من الحلوى ، يتذوق هذه وينهل من هذه ويلتهم تلك ومن ثم عندما يمل من واحدة يتركها ويذهب إلى أخرى ، وأماني كانت ستكون واحدة كغيرها ، ما الذي حدث ، أين وقع الخطأ ، كيف وقع أسير حبّها ليجد نفسه يحلم بها ، يحلم بحياته معها ، والآن ماذا ؟؟؟!!!

شهق شهقة جافّة ، يشعر بالقهر يجتاح أوصاله ، بالغضب ، بالرغبة على أن يثور على وضعه بأي طريقة كانت .

مسح دمعته اليتيمة آخذاً هاتفه من المقعد بقربه وإتصل منه « الو ، عبير ، كيفك ، عندك شي الليلة بدي شوفك ، نعم ، أوك ، بشوفك الليلة بمكانّا المعتاد»

أخذ نفساً عميقاً مسترجعاً رباط جأشه معيداً الاتصال بعماد « الو عماد ، نعم ، بعتذر ما إقدرت إحكي معك كنت بعدني مع

مدير البنك ، لا ، ما قبلوا ، مش مهم ، أصلاً أنا ما عاد يهمني لا أماني ولا غيرها ، بلا زواج وبلا هم على القلب ، خليني هيك صايع ضايع ما في وراه حدا »

أنهى الاتصال ، القى نظرة على هيأته بالمرآة وإنطلق نحو الجامعة لرؤية أماني .

****

الفصل الثالث

صعدت أماني سيارته بفرحة عارمة ، تبتسم له بطلاقة ، إنَّها سعيدة جداً اليوم ، لقد نجحت بالامتحان التي كانت خائفة منه كثيراً وتشعر بالرغبة للإحتفال .

«لوين بدنا نروح ؟؟» سألته تراقب الطريق أمامها لتجد أنّه أخذ طريقاً فرعياً بين الحقول ليدخل مكاناً محايداً خالٍ من الناس والسيّارات .

أوقف السيارة بحرش كثيف وهي تلفتت حولها بذعر ، السكون عميق، يتخلّله زقزقة العصافير وحفيف أغصان وأوراق الشجر ولا شيئ آخر .....

فتح باب سيّارته ونزل منها وهي تبعته تسأله « مازن ، باك شيئ ، ما فتحت تمّك كل الطريق وما عم تجاوبني ، شو عم نعمل هان ، ها المحل مريب »

إستدار اليها جاذباً إيّاها من ذراعها متوغلاً بها داخل الحرش الكثيف لتختفي أشعة الشمس بين الأغصان الكثيفة ، حاولت التملّص منه فعجزت ليدب الذعر بأوصالها.

وصل بها إلى الوسط دافعاً إيّاها ليلتصق ظهرها بِجِذْع الشجرة خلفها جاذباً شعرها بقوّة يتأمّلها بقهر ، بنظرة أثارت ذعرها أكثر ، ما به ، لماذا يتصرف معها هكذا؟؟ إنّه يخيفها ويرفض التفّوه بكلمة .

إتّسعت حدقتيها برهبة محدّقة به برجاء « مازن ، بترجاك ، إنت عم بتخوّفني ، شو عم بيصير معك ؟؟؟» سألته بصوت متهدّج مذعور وعندما إقترب منها شمّت رائحته ، رائحة أنفاسه كريهة ، عيناه حمراوتان وكفّاه ترتعشان ليدب الشك أوصالها « مازن ، إنت شربان شي ، كإنّك شربان شي ، حكيني » قالت دافعةً إيّاه عنها ليندس بها أكثر مقرّباً وجهه من وجهها أكثر قائلاً بأنفاسه النتنة « شو هو الشي المميز فيك حتى خلاني مهووس فيكي ، أنا صرت عم شوفك بأحلامي ، وعم بعجز إنّي شيلك من بالي وفكري طول النهار والليل ، شو عاملتيلي حتى مجننتيني بحبك بس قوليلي »

حدّقت به تحاول التفتيش عن مازن بداخله ، حبيبها ، هذا الرجل ليس هو ، إنّه يحمل جسده وملامحه ولكنّه ليس بهو ، لا!!!

«مازن ....مازن رجعني على الجامعة ، الظاهر إنَّكَ مش بوعيك ، حتى إنّه ما كان لازم تسوق ، أعطيني مفاتيح السيارة وخلّينا نرجع على الجامعة بليز»

أحاط عنقها بكفّه مجبراً إيّاها إلى رفع رأسها والنظر اليه منقضّاً على شفتيها يلتهمها بعنف ، بيأس، عليه أن يتذوق طعم شفتيها علّه يتوقف عن الهوس بها والتفكير بطعمهما وملمسهما ، هل ستكون قبلتها غير قبلات الأخريات ؟؟ هل سيختلف شعوره ؟؟ هل ستكون مميزة؟؟

إندس بها محاولاً إجبارها على فتح فمها وهي أطبقته بقوّة مصرّة على عدم الاستسلام له ، مانعةً إيّاه من التوغل ، أغمضت عينيها تبكي بحرقة، دموعها تنساب بكثافة ، لا تصدق ما يفعله، حرّر شفتيها دافناً وجهه بعنقها يلثمه بنهم وعنف ، تشعر بأسنانه تغرز ببشرتها الرقيقة، دبّ الذعر أوصالها تحاول دفعه عنها دون جدوى، تململت بين ذراعيه تهمس له بصوتها المتقطّع « بترجاك ، بترجاك ، ما تخليني إكره نفسي ، بترجاك ، أنا مش ممكن سامح نفسي إذا خليتك تعمل ها الشي»

ولكنّه لم ينصاع لرجائها، مستمراً بإجتياح شفتيها وجسدها غير عابئ لكونه يقترف خطيئة الزنا بحقّها، يجبرها على ما لا

ترغب، شبكت أناملها بشعره تجذبه بعنف، حركة يائسة منها علّه يبتعد غير دارية بأنّها بهذه الطريقة تبث بداخله الرغبة بالمزيد،هدّ الذعر أوصالها مسبّباً تسارع أنفاسها وتقافز دقات قلبها ،ليعود إلى شفتيها من جديد ينهم منهما لتنفرجا هذه المرّة فاسحةً له بأنّ يتوغل مسترسلاً بها، حركة فعلتها بمحاولة منها لإستعادة أنفاسها المقطوعة وهو فهمها إستسلام منها له ، غرزت أضافرها بذراعيه تحاول تمالك نفسها والبقاء صامدة على قدميها،تحاول دفعه عنها بوهن.

إبتعد عنها بعد لحظات يتأمل روعتها ، يستلذ بذكرى شفتيها الدافئتين اللذيذتين وإذ بها تخرجه من حلمه بصفعة عنيفة مرددةً وسط شهقاتها «رجّعني على الجامعة حالاً ، وإيَّاك إنك تفكر إنّ ها الشي راح يتكرر مرّة ثانية ، أنا بفضّل إتركك للأبد حتى ما إغلط معك وإغضِب ربّي ، فهمت »

حدّق بها يتأمّل ملامحها الثائرة ، عيناها المشتعلتان غضب وخجل ، روحها البريئة ، أيسأل نفسه بكل غباء ما الذي أوقعه أسير هواها ؟؟وهي هذه الفريدة من نوعها ، هديته وعقابه على حدّ سواء .

ومأ لها برأسه محرراً أيّاها فاسحاً لها المجال بالابتعاد عن جذع الشجرة التي حاول الاختلاء بها تحتها .

حضنت نفسها تشعر بالارتعاش الشديد ، الخوف والذعر من فكرة تماديه أكثر، تشعر بالخيانة وتأنيب الضمير ، لقد إقترفت خطأً لا يغتفر ، والآن عليها إنتظار عقاب الله لها ، لأنّه دائماً يفعل ، الله راعيها وحاميها ودائماً يقف لها بالمرصاد عندما تنحرف عن طريق الصواب يلجمها ويعيدها إلى الطريق السوي .

تنهّدت بأسى عائدة إلى السيارة ، لا تريد التحدث اليه ولا تريد البقاء بهذا المكان المخيف .

****

وقف عماد من مكانه يجول صالة العرض بتوتر شديد ، لا يصدق ما يسمعه من مازن ، لقد طفح كيله وما عاد يستطيع السكوت والتكتم عن حركاته ومساوئه .

«مازن ، أنت لازم تخبرها إنه البنك رفض يعطيك القرض وإنَّك مش راح تكون جاهز للزواج منها بسنين ، مبارح حكاني تامر عنها ، الشب معجب فيها كثير ومستعد للزواج حالاً ، عطيها فرصة تقرر حياتها وما تنتظر سراب »

إنتفض مازن عن مقعده واقفاً بوجه عماد يناظره بحقد « أنا كم مرّة قلتلك خليك برات الموضوع ، ما تتدخل بيناتنا ، أنا وأماني بنحب بعض وأنا عم فتَّش عن طريقة لجيب مصاري ، بس بدي شوية وقت »

« والبنات اللي بعدك عم تظهر معهم ، اللّي عم تعمل معهم علاقات ، البيحب ما بيخون يا شاطر »

دفعه من صدره بعنف مسبباً تراجعه بضع خطوات متقدماً نحوه من جديد قائلاً صارّاً على أسنانه «إنت شب مثلي مثلك ، وبتعرف إنّه الحب شي والعلاقات العابرة شي ثاني خالص ، وإنّه لمّ الواحد بيتزوج بيبطل ها الحركات »

رفع عماد حاجبه بتحدّي « وفِي كثير ما بيتوبوا وفِي كثير الخيانة بتعشش بقلوبهم وروحهم وما بيقدروا يبطلوها »

إبتعد مازن من أمامه مولياً إيّاه ظهره ، يفكر بقبلته لأماني ، لا ، بل سيتوقف كلياً ، لأنّ ما شعره مع أماني لم يشعر له مثيل بحياته ، شعور الحب والرغبة والتعطّش للحبيب ، وهذا الشعور لن يعرفه الاّ مع أماني .

« برجع بقلك ، إنّه ما خصّك ، وخلّيك برّات الموضوع عماد »

هزّ عماد برأسه ، متوعداً ، لا ، لن يبقى خارج الموضوع ، معزَّة أماني من معزَّة شقيقته سلام ، وما لا يرضاه لشقيقته لن يرضاه لأماني دون شك .

****

خلعت سلام صندلها رافعة بنطالها مغمّسةً قدماها بماء المسبح الدافئ ، تنعم بحرارة الشمس الساطعة « بكرا واصل إبن عمّك وسام ، يا عين ، رجع عريسي ، ها المرّة أنا صرت صبية كبيرة ، ولازم يحبني » قالت سلام ممازحةً

ضحكت أماني بوهن« نعم يا ستّي ، ها المرّة راح نجبره يروح يحكي فيكي ، هوي تخرج من الجامعة وتوظّف وأنت كبرت ، صرت خرج زواج ، وأصلاً عمّي باعثه على لبنان حتّى يلاقي عروس»

هزّت سلام برأسها تفكّر به ، آخر مرّة زار فيها لبنان منذ خمس سنوات ،كان في الواحد والعشرون من عمره والآن أصبح في السادسة والعشرون وهي وأماني كانتا في الرابعة عشرة من عمرهما ، آهٍ ، عمر ويمر .

تصلّبتا تنصتان إلى صياح والدها من داخل المنزل ، لتعود بإنتباهها إلى أماني أخذةً بكفِّها المرتعش برفق تخاطبها «

بعرف إنّه مهما تكرر الامر ما فيك تتعودّي على صوته وصياحه ، بس بدعيلك من كل قلبي إنّه ربنا يخلصك من هذا البيت وهمّه »

إحتضنت أماني ركبتيها إلى صدرها متّكئة إلى حافّة المسبح تراقب المياه تتهادى بأمواج رقيقة هادئة على سفحها ، تنهّدت بحزن وندم تهزّ بجسدها تحاول عدم الاستماع إلى صوت والدها الذي لا يحترم وجود زوّارٍ بالمنزل ،إنَّها لا تجرؤ على دعوة أحد إلى منزلها الفخم والكبير ، تخجل من وقاحته وعدم حشمته بالكلام وعندما يثور لا يردعه رادع .

« أماني ، ليش حاسّتك حزينة ها الفترة ، مش عم تحكي ، وعاطول شاردة »

«مش عارفة سلام ، أنا خايفة ، مازن مش معاجبني ها الفترة ، تصرفاته غريبة ، ومعاملته الي غريبة ، وقلبي ناقزني منه »

إقتربت منها أكثر تنظر إلى عينيها مباشرة « أماني ، إذا حاسّة حالك مترددة بخصوص مازن فكري مليح بالاسباب الّي عم تدفعك لهذا الشي ، وأنا متأكدة إنَّكَ راح تلاقي الجواب وأضح قدّامك »

هزّت برأسها تناظرها هي الاخرى بعيون متلقلقة ، خائفة « ما بدّي إتزوج بإنسان يطلع مثل بابا ، نسونجي وما يحترم مرتو ، يهينها وما يحبها ، أنا خايفة من مازن يعاملني مثل ما بابا بيعامل ماما »

«ما بعرف شو بدّي قلّك والله ، بس أنا بعرف مين ممكن يساعدك لتلاقي جوابك »

«مين ؟؟؟»

«عماد ، شو رأيك ، إتصل فيه وخليه يجي يحكي معك »

« كيف عماد راح يساعدني ؟؟» سألتها بإستغراب

« عماد طلب مني إنصحك تبعدي عن مازن من أوَّل الطريق بس أنا ما حبيت قلّك ، حبيت إنَّكَ تتعرفي على مازن وتشوفي بنفسك »

هزّت أماني برأسها لا تفهم مقصدها ولكنّها قالت « نعم ، بدّي إحكي معه ، حكيه يجي »

ذهبت معها إلى منزلها ، جلست عند الشرفة تنتظر قدومه ، تشعر بأنّ هناك مصيبة قادمة معه .

أتى اليها مباشرة ، لم يرضى أن يتركها تنتظر بينما يستحم ويتعشى ، إنّه يوقن بأنّه ربما سيندم لاحقاً على ما سيقدم على فعله ، ولكنّه مضطر لذلك .

«كيفك أماني ، شو أخبارك ؟؟؟»

«مليحة ، خبّرتني سلام إنَّكَ حابب تخبرني شي عن مازن ، بليز ، إذا في شي لازم أعرفه خبّرني ياه وما تتردد » تمتمت بخجل ، تلعب بأناملها الصغيرة ، وهو إعتصر قلبه عليها ، يشعر بالندم الشديد على عدم التدخل من بادئ الامر وإنتظر إلى الآن .

«أماني !! أولاً بتمنّى إنَّكَ تسامحيني على البدّي قولّك ياه ، وثانياً بعتذر منك كثير إني إنتظرت لبلوقت حتى خبرك . »

رفعت بصرها المضطرب اليه تناظره بتساؤل وذعر ، قابضةً على صدرها وكأنّها تعلم بأنّ ما سيقوله سيدمر حبّها وثقتها .

«مازن أوَّل ما إتعرف عليك كان هدفه الرئيسي هو إنه يتسلّى معك ، بس الظاهر إنّه بالنهاية حبّك ، بس ها الحب بكل أسف ما منعه إنّه يظل يظهر مع بنات ، يعمل علاقات معهم بحجة إنّه بعده مش مرتبط فيك رسمياً وإنه ها شي عادي بوضعكم . »

حبست أنفاسها تناظره بعيون غائمة ، لا ترى منه شيئ سوى صورة متماوجة ، تتصوّر مازن مع غيرها من الفتياة ، يقوم

بتقبيلهم كما قبّلها منذ أيّام ، إنّه يكذب ، مازن يحبّها ولا يمكن أن يقدم على هكذا فعل ، هزّت برأسها رافضةً تصديقه ، فتنهّد بحزن منتشلاً هاتفه من جعبته قلَّب بين صفحاته ومن ثمّ قدّمه اليها ، أخذت الهاتف من يده بتساؤل ، لتحدّق بالصورة أمامها لا تستوعب ما تراه ،رمشت بضع مرّات حتّى توضّحت رؤياها، مازن يجلس بمكان مزدحم على أريكة جلدية حمراء نصف دائرة وأمامه طاولة مليئة بالمشروبات الروحية ، و، وهناك فتاة جالسة بحضنه بكل وقاحة ترتدي ثياباً فاضحة وهو يقبّل عنقها، رفعت بصرها اليه ، الهاتف يهتزّ بين أناملها المرتعش ، شفتاها ترتعشان من وطأة ما رأت.

إستعاد عماد الهاتف يقول بأسف « بعد في صور كثير أماني ، بس بيكفيك تشوفي وتعرفي إنّه ها الصورة ما عمرها أكثر من شهر ، وفِي قبلها وفِي بعدها كمان »

وقفت من مكانها تتنشق دموعها بقوّة ، حابسةً إيّاها ، حدّقت بالبعيد نحو الجبل وراء المنزل ، شاردة ، عاجزة عن التفكير ، عاجزة عن إستيعاب ما يحصل ،« وليش نطرت كل هذا الوقت حتى تخبّرني ، أنا ومازن إلنا سوا تسع شهور ، شو الّي خلاك تنتظر كل ها الوقت حتّى تخبرني ؟؟»

وقف عماد من مكانه مقترباً منها ،«كنت مفكر إنّه ممكن يتغير مع الوقت ، وخاصّة إذا حبّك ، بس »
إلتفتت اليه تضحك بسخرية تقول بصوت متهدّج « يحبني!!! يحبني !!! لو مازن بيحبني ما كان بيتجرّأ ويخونّي ، مازن ما بِيحِبني وما بيعرف شو هو الحب ، ما بدّي عود شوفو ، قلّو ينسى أمري وما يتصل فِيّ ، وما يجرِّب يشوفني ، أبداً »
أنهت كلامها تاركة إيّاه عند الشرفة راحلة من منزله ، تشعر بالخيانة، بالغضب ،بعدم الامان ، تتذكر مشهد مازن المخزي بتلك الصورة وتتذكر قبلتهما التي إقترفت بواسطتها أمراً محرّماً ، إنّه عقاب الله لها ، إنَّها تستحق كل ما يجري لها .

****

إرتمت بحضن والدتها تبكي بمرارة ، تشكو مصيبتها وهمّها لها ، والدتها الحبيبة وكاتمةً أسرارها « أنا بكرهه ماما ، كنت مستعدّة إقبل إتزوجه بوضعه ها ، ما إهتميت ، بس طلع بالآخر عم يطلع مع بنات ، عم بيخونّي وبيرجع ثاني يوم ولا كَأَنَّه عمل شي »

إحتضنتها أحلام مضيّقة عليها تبكي حزناً على حظ إبنتها ، ظنّت بأنّ إبنتها وجدت نصيبها وأخيراً ستتخلّص من جو هذا المنزل الكئيب ، ولكنّ يبدو أن حظّها تعيس كحظّ والدتها .

«خلص حبيبتي ، خلص، ما في شب بيستحق تزعلي عليه علقد وخاصة إذا كان مثل ما عم تحكي ، يا عمري خلص »

وبعد أن بكت وجفّت دموعها إبتعدت عن حضن والدتها عازمة على أن تتوقف عن البكاء وتنسى أمره نهائياً وتنتبه لإمتحاناتها القريبة التي لا يفصلها عنها سوى أيّام معدودة .

مازن لا يستحق دموعها وأحزانها وتعاستها ، يكفيها ما فيها من أسقام وأحزان لتأتي وتضيف اليهم مازن وخيانته ، إنّه أوَّل درس من دروس العشق ، والاهم أن تتعلّم كيف تختار المرّة القادمة .

****

أطبقت كتابها تزفر بحنق لم يتوقف عن الاتصال بها ، هناك خمسون رسالة نصّية غير مقروءة وإتصالات لم يرد عليها لا تحصى ولا تعد .

لا تريد التحدّث اليه ، لا تريد مخاطبته ولا تريد رؤيته ، تخاف ، تخاف من مواجهته .

طرقت والدتها الباب ودخلت « أماني حبيبتي ، تعي تغدي وسلمي على إبن عمّك ، اله يومين هان وأنت بعد ما شفتيه»

«منّي جوعانة ماما ، بليز ، وما الي جلادة شوف حدا »

توغّلت إلى داخل الغرفة جالسة بقربها على السرير « بيّك سأل عنّك وبدّو ياك تجي وتقعدي معنا على الطاولة ، خلّي رايئ وتعي بليز »

قلبت عيناها نازلة عن السرير « ودخلك شو بدّو مني ، بحياته ما سأل عنّي على الغدا »

«وسام سأل عنّك مبارح واليوم »

«طيّب ، جاي ، راح غيّر ثيابي وروح »

قبّلت حسناء وجنتها بحنان وإبتسامة لطيفة وخرجت من الغرفة على عجل لنقل أخبار قدومها وهي تنهّدت بحزن تتأمل نفسها بالمرآة لتشعر بالرغبة الملّحة بالبكاء ، البكاء المرير ، تشعر بالاكتئاب وعدم الرغبة لفعل شيئ ، أبداً لا شيئ.

****

لكم مازن عماد بقوّة فاقداً السيطرة على نفسه تماماً « بدّي إئتلك يا حقير ، كيف بتسمح لنفسك تخبرها ، أنا وعدتك إني راح إتغير ، راح دبّر مصاري وإفتح شغل وإتزوجها ، كيف بتخبرها عن علاقاتي القديمة »

دفعه عماد عنه بعنف صارخاً به هو الآخر « لأنّك ما بتستحقها ، إنت واحد صايع وضايع ، البنت بيكفّيها الّي فيها ، حرام عليك ، بعاد عنها وعتقها ، بيها زلمي مجنون ، كل الناس بتعرف جنونه ، إذا عرف بعلاقتكم بيقتلها وبيقتلك ومستحيل يقبل فيك فهمت؟؟ تركها أحسنلك »

جلس مازن على المقعد بغرفة الجلوس بإنكسار، غير واعٍ للجمهور الواقف عند الباب يراقب ثورته وإنهياره « أنا بحبها ، بحبها كثير ، راح موت إذا تركتني ، مش قادر إتصور حياتي من دونها ، أنا مستعد أعمل أي شي كرمال ترجع ....أي شي »

وقفت سلام عند الباب تراقبه بعيون متلقلقة ، إنّه يتعذّب ، إنّه حقاً يحبّها.

جلس عماد بقربه مربتاً على كتفه برفق « دبّر حالك وحسّن أحوالك ورجعلها ، إرجع وطلاب إيدها من بيها ، بس بالاوّل شوف كيف بدّك تدبّر مين يساعدك بالمصاري »

أحمد القادري

مسح وجهه بكفّه آخذاً نفساً عميقاً واقفاً من مكانه « نعم ، نعم معك حق ، راح روح دبّر أموري وإرجع أطلبها من بيها ، أنا وأماني لبعض ، ومستحيل حدا يدخل بيناتنا ، وأنت » حدّق به بعينيه الحمراوتين اللتين تحملان الماً وعتاباً «إعتبر صداقتنا إنتهت ، أنا وأنت مجرد ولاد خالات وبس »
وترك منزل بيت خالته عازماً على فعل أي شيئ ، لا يعرف ماذا ولكنّه سيجد الحل لا محال .

****

وقف وسام عند شرفة غرفته يرتشف قهوته ، مازال يعاني من إختلاف الوقت فينام بالنهار ويسهر الليل بطوله ، اليوم قرر أن يستيقظ باكراً والانخراط بحياة الضيعة الهادئة .
لقد قرّر أن ينزل في بيت عمّه الاصغر سهيل حتى يأتي والديه ، فهو سبقهما إلى لبنان بغرض إيجاد عروس ، ضحك مسترسلاً يهزّ برأسه ، يجد لنفسه عروس ، إذ منذ قدم إلى هنا وهذا الامر حصل منذ أربعة أيّام فقط ، تعرّف خلالهم على بنات العائلة والأقرباء المقرّبين والبعيدين والجيران والاصدقاء ، كلّهم قدموا لإلقاء التحيّة وتقديم بناتهم اليه ليعرّفوه عليهن ،

أناس بسيطين جداً لا يوقنون وطأة فعلتهم تلك على بناتهم والعريس المنتظر .
إتكأ إلى حافّة الشرفة يراقب أماني جالسة تحت شجرة السرو تتفيّأ بظلها تحمل كتاباً بيدها وعيناها شاردتان نحو البعيد ، إنَّها على هذه الحالة منذ أكثر من عشرين دقيقة ، ضحك على حالها مقرراً النزول اليها .

«شو عم تعملي ست أماني ، عاملة حالك عم تقري وإنت شاردة الله أعلم بشو»
إنتفضت أماني برهقة عائدة إلى كتابها تشعر وكأنّها إكتشفت بجرمها المشهود لتشعر به يجلس بقربها ملقياً نظرة تفقدية للكتاب بيدها « سيكولوجي !! واو!! عم تدرسي علم نفس » سألها بعربيته الواضحة جداً ولكنّ لسانه ثقيل جداً يكشف بسهولة أنّه لا ينتمي إلى بلاد عربية .
أطبقت الكتاب مولية إيّاه إنتباهها تبتسم له بلطف « نعم ، عم أدرس علم نفس ، بس أوعى تقول إنّه علم النفس للمجانين، بزعل منّك »

رفع حاجبه متفاجئاً من كلامها « وليش بدّي قول هيك ، عنّا بكندا أغلى دكاترة هنّي دكاترة علم النفس ، بيعملو مصاري كثير وبيلاقوا شغل كثير »

إبتسمت بعمق « عنجد ، واو ، على هل الحال راح روح إشتغل هانيك بعد ما إتخرج »

ومأ برأسه مشجعاً « نعم وليش لاء »

إستدارت اليه موليةً إيّاه كل إهتمامها « وإنت شو درست بكندا ؟؟»

«هندسة كهرباء إتصالات ومواصلات »

حدّقت به تنتظر منه المزيد فتابع « بشتغل بتصميم تمديدات شبكة الكهرباء من المصنع الرئيسي للشوارع ومن الشوارع للمنازل والبنايات والمراكز التجارية ، تمديد خطوط الانترنت من مقرها الرئيسي إلى باقي المقرّات الفرعية ، تمديد خطوط الكهرباء التيار العالي من منطقة لمنطقة أخرى ، أنا بعمل الخرائط وبرسم التمديدات ومهندسين غيري بيطبقوا تصميماتي على أرض الواقع »

حدّقت به مشدوهة الفاه تتخيّل أهمية ودقّة وعظمة العمل الذي يقوم به « بجد ، واو ، هذا رائع ، كثير رائع ، حبيت »

« وأنا حبيت كمان » أجابها يتأمّلها بتمعن ، إبنة عمّه أضحت شابّة فاتنة ، رائعة الجمال . وهي غضّت بصرها عنه بخجل تشعر بعيونه تتأمّلها بتمعن ، تنحنحت معلّقة ، تشير للكتاب بيدها « لازم إنتهي منه الليلة ، بكرا عندي إمتحان فيه » وقف من مكانه يومئ لها برأسه بأنّه فهم طلبها « أوك ، راح روح شوف شي أعمله وإنت رجعي درسي ، مش تشردي بالفراغ »

ضحكت بخجل محدّقة بالكتاب ترجو إبتعاده من أمامها لتسمعه يسألها «أيمتى بتنتهي من إمتحاناتك ؟؟؟»

رفعت رأسها تناظره لتضرب أشعة الشمس عيناها بعنف فحمتهما بكفِّها مجيبةً « الاسبوع القادم ، بعد عندي مادتين وبنتهي من هاي السنة إن شاء الله »

وقف بوجهها حاجباً أشعة الشمس عنها لتتسنى لها رؤيته بوضوح ، بشرته السمراء ، عيونه البنية ، وشعره الاسود الناعم وذقنه الشبه بارزة الخفيفة جداً ، تزيّن ذقنه كظلال، يبدو جذّاباً ووسيماً ولكنّه لا يملك فرصة قبالة مازن ، الخائن مازن ، أخذت نفساً عميقاً عائدة إلى كتابها وهو قال قبل أن يبتعد من أمامها « أوك ، إنت إنتهي من الامتحانات وأنا مجهّزلك جدول مليان للصيفية بطولها .»

****

إنتهت من إمتحانها وخرجت متوجهة مباشرة نحو سيّارتها ، لتُفاجأ به أمامها ، ينتظرها ، بحالته التي لم ترى لها مثيل عليه بكامل الأشهر التسعة التي كانت معه .
مازن الأنيق ، الوسيم ، المتفاخر ، الذي يمشي بين الناس يعرف بأنّه محط أنظارهم ، مُلفت للنظر ، وسامته صارخة .
الذي يقف أمامها لا يشبهه بشيئ ، ذقنه الأطول من المعتاد الغير مشذّبة ، شعره المبعثر بعشوائية دون كريمات تصفيف وثيابه التي يبدو منها أنّه خسر بعض الوزن ، نقف قلبها معتصراً نفسه لرؤيته ، غير قادرة على التقدم ، ناوية التراجع ، لا تثق بنفسها بقربه.
قطع المسافة المتبقية بينهما بتردد ، مقترباً منها وهي إتخذت بضع خطوات نحو الخلف « بليز إسمعيني ، أنا بعرف إنّي غلطت ، بس بقسملك إنّه ها الشي صار قبل ما أقع بحبك ، كانوا أوَّل ما إتعرّفت عليك ، أنا بحبك أماني ومش شايف غيرك وما بدّي الاّ إنت بترجاك أعطيني فرصة ثانية بترجاك »

«مازن إنت بليز ، عندي إمتحانات وبالكاد قادرة ركّز ، بيكفي الي صار معنا ، أنا ما عاد بدّي ياك ، روح ، روح وإنساني »
وصل اليها ممسكاً بذراعها لتنتفض تحاول تحرير نفسها قائلة بحنق « تراك إيدي ، نحن بالجامعة ، بدّك العالم تحكي علي »
تلفّت حوله بحيرة قائلاً « خلينا نروح على شي محل ، أنا بحاجة لإحكي معك ظروري »
إبتعدت عنه هاربة نحو سيّارتها تشعر بقلبها يغوص بمعدتها مسبّباً تقلّصها «أكيد لاء ، أنا مستحيل إطلع معك على أي محل بعد الّي عملته آخر مرّة طلعت بسيارتك ، مازن ، أنا ،،،، أنا مجروحة منك كثير ، بالوقت الحاضر مش قادرة إطلّع فيك حتّى ، روح ، روح وإنسى أمري وإرجع لحياتك الماضية ، أنا عندي هَمْ بيكفيني منّي محتاجة هَمْ فوق همّي »
«إنتِ لازم تسمعيني ، أنا بوعدك إنّي راح جيب مصاري وإفتح شغل و...»
نبرت به غير قادرة على تمالك أعصابها أكثر« مصاري شو ، مازن أوعى تقلب المشكلة على المصاري ، أنا وأنت وصلنا لهان لإنّك خنتني ، كنت عم تظهر مع بنات ، عم تحضنهن وتبوسهن وتشرب مشروبات روحية وتروح على أماكن غير محتشمة ، أنا مافيّ كمّل معك هيك ، أبداً ، أنا مجربة صعوبة الحياة مع

شخص بهذا الشكل لإنّه عندي نموذج مثله بالبيت ، وأبداً مش ممكن أوقع مرتين ، أبداً ، أنا مستحيل إقدر أثق فيك من جديد ، مستحيل إلّي إنكسر بيناتنا يرجع يتصلّح ، إنت كسرت ثقتي فيك .»

أنهت حديثها وصعدت سيّارتها تاركةً إيّاه يقف عاجزاً عن قول المزيد، يراقب السيارة تخرج من موقفها تاركةً حرم الجامعة بشموخ وكبرياء ، ماذا يحصل معه؟؟ لقد ظنّ بأنّها ستعود ،لقد كانت دائماً تعود، إنَّها تحبّه ،لا!! بل تعشقه ، أماني تعشقه ، لقد كانت الحبيبة المثالية ، التي لا تسأله أين كان وأين يذهب ، تحبّه بدون قيود ومبررات ، حبيبته ، كنزه الثمين ، ماذا فعل كي يخسرها؟؟سيموت إذا تركته ، ما هذا الالم الّذي يجتاح كيانه ، الم رهيب لم يشعر بمثله بحياته كلّها .

رنّ هاتفه ، إنتشله يجيب بشرود ، دون إكتراث ، لينتفض بذعر لحظة سمع صوت أخته الصغرى تستنجد به باكية « مازن ، الحق ماما ، مش عارفة شو صرلها ، نقلناها على المشفى ، عجّل تعا لعِنَّا »

أغلق الهاتف مسرعاً نحو سيّارته، ماذا حصل لأمّه ، القلق يهدم أوصاله ، أمّه الحبيبة .

****

أوقفت أماني سيّارتها على قارعة الطريق غير قادرة على إيقاف دموعها الحارّة التي حجبت عنها الرؤية بوضوح .
توقفت مطلقة العنان لدموعها وشهقاتها، تشعر بألم رهيب بقلبها وروحها، لماذا تشعر بأنّها ظلمته ، قست عليه ، بأنّها نادمة على قسوتها وبرودتّها الّتي إدعتها أمامه، لا تستطيع أن تراه من جديد ، لا تستطيع ، إذ المرّة القادمة لا تعرف كيف ستتصرف أو كيف ستؤثر عليها رؤيته، إذ لا تستطيع نزع ملامحه ومنظره المنكسر من بالها، مازن ، الوسيم الذي يفرض حضوره أين ما يكون ، إنطفأة شعلته وإنكسر جناحه بسببها.

****

إنتهت من إمتحاناتها ولم تسمع من مازن طوال تلك الفترة ، تشعر بإرتياح كبير إذ يبدو أنّه إستسلم لمصير علاقتهما ، هذا جيد ، على الاقل سيفسح لها المجال لأنّ تتخطاه وتنساه ، وهذا ما ستفعله ، ستنساه وتبدأ من جديد .

إرتدت ثياباً مناسبة لرحلتهم القادمة ، إلى بعلبك ، سيزورون قلعة بعلبك الرومانية الاثرية ، هي وأختها مريم وأخيها أيمن ووسام .

قاد وسام السيّارة بسرعة معتدلة ملقياً على أماني نظرة خاطفة بين الحين والأخر ، ودائماً يجدها شاردة الذهن ضائعة بنظرها بين الحقول والبساتين التي يقطعون من قربها ، لم تتفوّه بكلمة واحدة طوال الطريق وكأنّها غارقة بعالمها الخاص ، تنحنح بهدف إستدعاء إنتباهها يسألها :
« أماني ، في شي مضايقك ، كنت كتير محمّسة للطلعة وبالوقت حاسّك مش مبسوطة »
إلتفتت اليه بإبتسامة لطيفة ترمقه بإعتذار ، تتأمّل ملامحه المعاكسة تماماً لمازن ، حارق قلبها ووجدانها ، إنَّها تفتقد له ، وبذات الوقت حزينة على حظّها التعيس الذي وضعه بدربها ، تنهّدت بعمق مجيبةً « أنا ما بقدر إحكي بالسيارة ، بدوخ وبحس بدّي إستفرغ ، كرمال هيك ببقى كل الطريق ساكته وعم إطلّع قدّامي »
ومأ برأسه متفهّماً سكوتها وشرودها يفكر بها وبرقّتها ، لقد كانت فاتنة صغيرة لفتت نظره منذ رحلته السابقة ، رقيقة هادئة

تتصرف كسيّدة صغيرة ، تتكّلم بحكمة ، عندما كان يجالسها ويتحّدث اليها يشعر وكأنّه يتحدّث إلى إمرأة ناضجة حكيمة ، وكل هذا يعود لعمّه الذي أرهقها ، عقليته الصعبة وعصبيته الزائدة جعلتها حسّاسة جداً وإنطوائية ، منكبّة على الانعزال بغرفتها والقراءة، لطالما شغلت باله وتمنّى لو يستطيع مساعدتها وإنقاذها من جو منزلها المعكّر والتعيس .

وصلوا إلى وجهتهم ، قلعة بعلبك الاثرية دخلوها ليشعروا بعضمة حضور القدماء ، عظمة البناء تدل على عظمة الرومان وهندسة البناء بتلك الحقبة التاريخية القديمة جداً .

ركض أيمن ومريم يتسلقّان عاموداً ضخماً حتّى وصلا إلى صف العواميد الستة ، إتخذا موضعاً وطلبا بإتخاذ صورة لهما ، إقتربت أماني مباشرة بأخذ الصور لهم عبر هاتفها ووسام إنكبّ على إتخاذ صور لها بكاميرته الخاصّة ، ليجد نفسه إتخذ لها مئات الصور بالساعتين الاخيرتين وما زال لا يشعر بالاكتفاء ، جميلة ، رائعة ، وتتخّذ صوراً مبهرة ، تقاسيمها خلاَّبة .

إنتبهت له فغضت عنه بصرها بخجل متذمرة « وسام ، إنت جاي تأخذ صور للقلعة أو الي »

أحمد القادري

ضحك يهزّ برأسه بمرح مقترباً منها ، وهي راحت تتأمّله بعيون جديدة ، بشعره الاسود الكثيف وسمرته الجذّابة يرتدي شورطاً يصل لتحت ركبتيه بقليل وكنزة قطنية سكّرية اللون وحذاء رياضة ، والكاميرا متموضعة منتصف صدره ، إرتعشت أوصالها لحظة وجدته بقربها ، مهيمن عليها بطوله وعرضه ، لم تستوعب سبب قربه الشدّيد منها في بادئ الامر مستغربةً لتبتسم له بعض لحظات عندما وجدته يضع شاشة الكاميرا أمامها يريها الصور التي التقطها لها ، آخذ يقلّب بها وهي تشاهد بإندهاش ، يبدو أنّه إتخذ صور للقلعة بأكملها ولكنّها متواجدة بكل واحدة منها ، إبتسمت لنفسها بوجه مشتعل وحرارة مرتفعة جداً ، هزّت بكتفها مبتعدة عنه فاسحة لنفسها المجال لإستعادة أنفاسها التي قطعتها لحظة إقترب منها ، وهو أعاد الكاميرا إلى كتفه يبتسم لها برضى قائلاً « تعي ناخذ شوية سيلفي بالتلفون ، أنا وأنت »

إبتعدت أكثر مجيبةً « أعطيني الكاميرا ، أنا باخذلك صور، » سألته مطالبة بها ولكنّه بقيّ على عناده آخذاً هاتفه متموضعاً قربها مباشراً بأخذ سيلفي لهما بالمدينة القديمة ، الأقدم من التاريخ .

« لك شو صرلك ، ضحكي ، أو على القليلة إسترخي شوي مش كأنّي عم قوصك »
إزدردت بلعابها الكثيف محيدةً بوجهها قائلة « خلينا نروح ، أيمن ومريم بدهن يركبوا على الجمل برّا »

إبنة عمّه الخجولة ، ضحك يفكر بطريقة يجعلها تنسى خجلها وتفتح مشاعرها له ، تتوقف عن هذا الصمت والشرود الدائم وكأنّها تحمل همَّ العالم كلّه فوق رأسها .

****

تجمّدت سلام أمام وسام تتأمّله بإبتسامة بلهاء على وجهها ، وهو سلّم عليها بمرح « كيفك سلام ، والله كبرت وحلوَّيتي ، وين صرت بالدراسة ؟؟»
تنحنحت لتجيبه بصوت متهّدج « أوَّل سنة جامعة ، مسجلة إدارة أعمال »
هزّ برأسه يرمقها بتقدير ، « برافو ، كثير مليح ، وكيف عماد ، بعد ما شفته ها المشوار »
« علقان بالشغل وخطيبته ، ما عنده وقت لشي ثاني »

« آه ، خطب كمان ، الله يوفقه ، أكيد جاي لعند أماني ، بعتقد هي بغرفتها » أخبرها وخرج من الباب فاسحاً لها المجال للدخول إذ التقيا عند مدخل المنزل .

دخلت متوجهّةً مباشرة إلى غرفة أماني لتجدها كعادتها هناك منكبّة على قراءة كتاب ، هذه الفتاة تعشق القراءة وتعيش حياتها بأكملها بين الكتب .

رفعت أماني رأسها عن الكتاب ترحِّب بسلام التي دخلت دون دعوة .

إستلقت قربها على السرير تتأمّل الكتاب تحاول قراءة عنوانه ، « مش معقولة ، مهووسة قراءة ، قومي شوفي الطقس شو حلو ، تعي نقعد بالجنينة »

أغلقت أماني الكتاب واقفة عن السرير ، فكّت عقدة شعرها تصفّفه بأناملها تنهّدت بإرهاق قائلة « قومي ، الله يعينَّي عليك، ويعين الّي بدّو ياخذك ، ما بتعرفي غير تتأمّري »

ضحكت سلام تتبعها نحو الاسفل إلى الحديقة ، أسرعت بخطاها نحو جلستها المفضّلة قرب حوض السباحة تتذمر « دخلك ، الواحد بيكون عنده حديقة وجمال بهذا الشكل وبيبقى قاعد بغرفته ليل نهار »

نظرت اليها تتأمّل شحوب وجهها وحزن ملامحها، نقف قلبها حزناً عليها«حبيبتي،بجد أنا حاسّة بالذنب ، حاسّة إنّه أنا السبب بالّي عم بيصير معك »
جلست أماني بقربها ملقيةً برأسها إلى كتف صديقتها« إنت ما خصّك سلام ، هيذا كان قراري ونصيبي ، بس بجد مش قادرة إنسى ، فاقدة اله كثير ، حاسّة بفراغ كبير بقلبي وروحي ، مع إنّه أذاني وجرحني ، ومع كل ها مش قادرة إكرهه وبنفس الوقت مش قادرة سامحه »
أحاطتها سلام بذراعها تتنهّد هي الأخيرة بحزن « خالتي بالمشفى ، إرتفع معها السكر وسببلها جلطة برجلها، وضعه صعب كثير، مقضّيها إمّا بالمشفى وإمَّا بالشغل »
سكتت ، وسكتت منتظرة تعليقاً من أماني ، أي شيئ وإذ بها تفاجئ بالأخيرة تشهق بحرقة تبكي بمرارة ، إحتضنتها بقوّة دافنة وجهها بصدر صديقتها ، تبكي وتبكي وسلام صُدمت من ردّة فعلها ولكنّها عجزت عن التعليق فإكتفت بتقديم دعمها الصامت إلى أن هدأت كلّيّاً .

رحلت سلام وتركتها وحدها بالحديقة ، شعرت بالكسل والملل وعدم الرغبة من التحرك من مكانها ، عمّ الظلام وإجتاح المكان

بسرعة هائلة بعد غياب الشمس لتعلوا أصوات الزيز ونقيق الضفادع ، إستلقت على الحشائش الخضراء مغمضة عيناها تدندن أغنية قاظم السّاهر يا مستبدة ، أغنيتها المفضلة هذه الايام ، وإذ بها تنتفض مستشعرةً حركة طفيفة صامته بقربها ، فتحت عيناها لترى وسام واقف فوق رأسها يناظرها من أعلاه « كيف هذا ، الي ثلاث أسابيع بلبنان وهيدي أوَّل مرّة بلائيكي برّا وبالليل »

إستقامت بجلستها وهو جلس بقربها آخذاً هاتفها يستمع للأغنية التي تلعب عليه ليُفاجأ بها « يا مستبدة مرّة واحدة ، يعني الواحدة بتسمع أغنية فيها مشاعر منها للشب ومش من الشب الها ومستبدة »

إستعادة هاتفها من يده موقفة الاغنية معلّقة « أنا بحب ها الاغنية كثير ، وبفضّل كون أنا المستبدة وما يجي حدا ويستبد فِيّ »

رمقها بإعجاب وتقدير يهز برأسه يتأمّلها بإندهاش ، هذه الفتاة تصدمه ، مليئة بالأسرار والخبايا ، يجعلانه يرغب بسبر أغوارها وإكتشاف أسرارها وكنوزها وجمالها الدفين .

غضّت بصرها عنه عاجزة عن النظر اليه أكثر ، إنَّها تشعر بنظراته تلك وتُرْبِكُها ، تزيد من سرعة دقات قلبها وتوترها حدّ التعرّق .

« بعد يومين بيوصل عمي ومرت عمي ما هيك ؟؟؟» سألته تحاول تغيير الموضوع .

«نعم ، يومين وبيوصلوا ، بدهن يقعدوا أسبوعين وبنرجع كلنا سوا »

رفعت بصرها عن هاتفها التي كانت تحاول الاحتماء من نظراته عبره متفاجئة « عنجد ، بس أسبوعين ، وإنت رايح معهم ؟؟» سألته تشعر بألم مفاجئ بصدرها ، سيرحل بهذه السرعة ، وجوده يفرحها ، إنَّها تحب أن تجالسه والتحدّث اليه والخروج معه ومع إخوتها . أسيرحل بهذه السرعة ؟؟؟

إنتبه لحزنها وتخبط مشاعرها من خبر رحيله ليُفاجأ بسؤالها « ولقيت عروس ، مش أنت جاي تدَوِّر على عروس »

ضحك بعمق « عروس لبنة ولا عروس جبنة »

إبتسمت بخجل « لك إنت فهمت شو قصدي »

« بصراحة فكرة العروس هاي فكرة ماما وبابا ، قال لازم إتزوج بعد ما إتخرجت وبدأت شغل ، خايفين لأقع بحب شي وحدة أجنبية ، شقراء وطويلة وإتزوجها »

شهقت تفكر بهذه الاحتمالية « عنجد، ما في بنات عرب بكندا» «متلهم متل الأجانب ، بيطلعوا وبيتعرفوا على شباب وبيعملوا مثل الأجانب »

«لا!!!» قالت مصدومة « إنت عم تحكي جد » أطبقت كفّها على فمها تحاول إخفاء دهشتها من كلامه .

إتكأ إلى الخلف آخذاً وضعية مريحة وقال « أكيد مش كلهم يعني ، بس بهذه الايام ما عاد فيكي تعرفي مين الّي مليحة ومين لاء ، وبصراحة ، أنا ما بيهمني ، بس ماما وبابا معارضين ها الشي »

«إنت ما بيهمّك إذا كانت عاملة علاقة قبلك ؟؟»سألته بإندهاش أكبر .

هزّ برأسه مجيباً « ما تفهميني خطأ حبيبتي ، ما عندي مشكلة إنَّها تكون مطلّقة ، أرملة ، مخطوبة ، منها عذراء بالحلال ، مش صايعة وبتعمل علاقات مع أي شب بيعترض طريقها أو بيعجبها ، هاو البنات ما بيتأمّن عليهم ينحطوا بيبيت ويصيروا أم ولادك ويحملوا إسمك ، أكيد ما بقبل .»

تنهّدت بإرتياح لتعود لوضعية الاسترخاء بعد أن شعرت بالتصلب الشديد من كلامه وعادت بسؤالها « وشو صار معك لقيتها لسعيدة الحظ »

ومأ برأسه يرمقها بمكر ، يبتسم بخبث وقال « نعم لقيتها وحكيت مع والدها وناطر ردها ، ولأنّي مش قادر إنتظر لبكرا أنا بدّي إسألها بنفسي « أماني، إنتِ بتعجبيني كثير وحابب إنّك تكوني شريكة حياتي ، وبتمنّى تعطيني فرصة»

حدّقت به تحاول إستيعاب ما تلفّظ به من قول ، إستيعاب طلبه ، يا الله!!! هذا مستحيل ، وكلّم والدها ، والدها !!!!

لاحظ أن الدماء هربت من وجنتيها فجأة مسبّبةً شحوبها المخيف ليشعر بأنفاسها المنقطعة «أماني ، إنت مليحة ، شو صرلك ، أوك أنا بعرف إنّه الخبر مفاجأة ، بس مش لهاي الدرجة ، النا أسبوعين عم نخرج سوا تقريباً كل يوم ، ما لاحظتي إعجابي فيكي ، وإنت كمان ، حسّيت إنّه في بيناتنا تناغم ، إندماج.....»

«أنا ، أنا ، ما عم فكّر بالزواج بعد ، حابّة كمّل جامعة وإتخرج وبعدين وبعدين .،،.،،» وجدت نفسها تتمتم غير قادرة على إكمال جملتها، بالها عند والدها ، إذ وافق والدها ستكون نهايتها، والدها لن يقبل برفضها ، سيجبرها على الزواج .

إقترب وسام منها أخذاً بكفِّها المرتعش «إهدي بليز ، إذا مسألة دراستك أنا مستعد خليكي تكفّي علمك بكندا ، ما عندي مشكلة ، وإذا حاسّة إنَّكَ ما بتحبّيني ، أنا متأكّد إنّه

الحب راح يدخل بيناتنا لا محال لأنّي أنا ، أنا بصراحة بدأت حبّك ، عم حس أحاسيس غريبة وأنا جنبك عم حب ظل بقربك ، إحكي معك ، إشتأللك ، أكيد هذا أوّل درب الحب ، وبوعدك إنّه راح إسعدك وخلصك من جو بيت عمّي وعقليته الصعبة .»

جذبت كفّها من يده تهزُّ برأسها عاجزة عن النطق ، التعليق ، ماذا ستخبره ، هل تخبره بأنّها تحب آخر؟؟ ومن هو هذا الآخر ؟؟ أين هو ؟؟؟ الآخر الذي خانها وخان العهد بينهما .

«بليز وسام ، أنا ، مش مستعدة لهذه الخطوة ، ما كانت ببالي أبداً ، منّي مستعدة لمسؤولية الزواج والبيت والزوج ، بعدني.... »

عاد وأمسك بكفّها المرتعش بين كفَّيه الدافئتين يخاطبها بحنان « ما بدّي جوابك أماني بالوقت ، خذي وقتك ، ماما وبابا بدهن يومين لَيَصَلوا وما تخافي ما راح إجبرك على شي ، إذا ما بدّك ياني ، هذا الشي ما راح يغير من حبّي وإحترامي ومعزّتي الك ، أوك .»

ومأت برأسها تناظره بعيون متلقلقة وهو أقلقه حالها ، أإلى هذه الدرجة مذعورة من هذه التجربة الجديدة ، لا بدّ أن والدها زرع بقلبها الجزع من فكرة الزواج والزوج وتلك الحياة برمّتها.

الفصل الرابع

صعدت إلى المنزل مباشرة إلى والدتها، تحتاج لأن تعرف رأي والدها بكل هذا ، الآن كل شيئ متعلّق بوالدها ، تشعر بذعر كبير ،مازال مازن ساكن بقلبها ويحتل مساحة كبيرة منه ، لا تستطيع خيانة وسام بهذه الطريقة ، إنّه لا يستحق ذلك .
جلست قرب والدتها تشاهد أناملها الدقيقة تقوم بعملية تطريز بديعة بدقّة لامتناهية .
«ماما ،بابا حكاك شي عن وسام »
توقفت حسناء عن التطريز موليةً أماني كامل إنتباهها ، إبتسمت لها إبتسامتها الطيبة ، والدتها الحبيبة ، الرقيقة والضعيفة ، في بعض الأحيان تشعر بأنّها مسؤولة عنها ، هدفها أن تحميها من والدها وبطشه ، في حياتها لم تسمعها تتذمر أو تتأفف أو ترفع صوتها بأحد ، حتّى بها أو بإخوتها، تعاملها على أنّها صديقتها أكثر من أن تكون إبنتها.
ومأت حسناء برأسها عدّة مرات غاضّةً بصرها عن إبنتها قائلة « نعم ، بيّك حكاني وسألني قلّك إنّه وسام طلب إيدك وإنّه

هوي وافق وحدّدوا موعد زفافك من بعد ما بيصلوا بيت عمّك بعشرة أيام .»

إنتفضت أماني من مكانها برهقة نابرةً بذعر « ماما إنت شو عم تحكي ، أنا ما فِيّ إتزوج وسام ، أنا بعدني مش عارفة شو بدّي أعمل بمازن ، كيف هذا ؟؟؟»

وقفت حسناء من مكانها أخذةً بكفّ إبنتها بحنان « يا حبيبتي ، إنت ومازن أبداً ما راح تكونوا لبعض وخاصّة بعد الي عرفتيه عنه ، ووسام شب طيّب وبيحبك وإبن عمّك وشاريكي ، يا عمري ، أنا بلاقي إنّه ها الزواج إجا بمحلّه ، وأنت لازم تتقبلي ها الشي وتبدأي تفكري بحياتك الجديدة مع وسام وتنسي مازن كليّاً »

إرتعشت شفتاها تتأمّل والدتها الجميلة ، التي ماتزال رائعة الجمال رغم سنّها ونحفها الشديد والهم القابع بقلبها ،

تناظرها برجاء « ماما ، أنا خايفة ، ما بدّي إجرح وسام ، ما بيستحق إنّي خونه »

أخذتها بين أحضانها« إنت مش عم تخوني حدا حبيبتي ، مازن ماضي وراح بحاله ، ووسام مستقبلك وسعادتك ، وأنا متأكدة إنَّكَ راح تحبيه مثل ما كنت بتحبّي مازن وأكثر ، بس إفتحيله قلبك وإسمحيله يدخل .»

إحتضنت والدتها تبكي وتشهق ، ضائعة خائبة ، لا تعرف كيف تتصرف وماذا تفعل ، تفكر بحياتها لو أنّها لم تسمح لمازن بالدخول إليها هل كانت ستكون الآن أسعد إنسانة بالعالم بزواجها من وسام ، إبن عمّها الطيب والحنون وفارس أحلام الكثيرات؟؟؟

دخلت غرفتها لتجد هاتفها يرن فأسرعت اليه ترد لتُفاجأ بمازن ، إرتعش قلبها غائصاً بين أضلاعها مسبباً لها إعتصاراً رهيباً بمعدتها ، لتشعر بنفسها ترتعش غير قادرة على الوقوف أكثر ، أخذت تتنفس بإنتظام لدفع نوبة الذعر التي إحتلّت جسدها دُفعةً واحدة ، ماذا يريد ؟؟ هل شعر بأنّه على وشك خسارتها إلى الأبد ، كيف سيتقبّل هذا الخبر ، جلست على كرسيّها الصغير أمام المرآة تتأمّل وجهها الشاحب ، حزنها العميق ، جرحها الذي ما زال ينزف وبغزارة ، لتغيم نظراتها حاجبة عنها الرؤية ، شهقت تبكي وتبكي وتنوح ، ماذا ستفعل الآن ، كيف تتصرف ؟؟؟؟

****

«طيب ليش ما بدّك تروحي معي على الحفلة ، هيك بدّك تبقي منعزلة عن العالم»

تذمرت سلام فاتحة خزانة ثياب أماني تفتش فيها عن شيئ تختاره لنفسها للحفل . اخذت فستاناً مورّداً تقيسه على جسدها ، إستدارت إليها تسألها «شو رأيك ، ها الفستان بعد ما لبستلّك ياه ولا مرّة ، حلو »

ومأت لها برأسها تتأمّلها بإبتسامة حزينة ، حابسةً دمعتها ، مانعة نفسها عن الانهيار أمامها.

أعادت سلام الفستان إلى مكانه مسرعة اليها« أماني حبيبتي ، يا ربِّ ، ما تقوليلي بعدك عم تبكي على مازن ، المسكين علقان بالشغل حتّى يجمع مصروف المشفى والادوية ،مرض خالتي هدّ حيله ،أنا متأكدة إنَّها راح تنحلّ بيناتكم ، أصلاً أنا قلت ما بدّي خبرك ، بس بجد مش قادرة ، مازن كثير حالته بتحزّن ، وعطول بيسألني عنّك ، أنا حاسّي إنّه كثير ندمان....»

لم تستطع أماني تحمّل سماع المزيد فصرخت بها بحنق شديد « كتب كتابي من وسام الاسبوع القادم ، وأنا مش قادرة أعمل شي لوقف الموضوع ....»

صمتت محدّقة بأماني بذهول ، لا تستوعب ما تفوّهت به صديقتها، جلست على الاريكة الصغيرة بجانب السرير ، تتلفت حولها بحيرة «أماني ، إنت ، إنت ، عم تحكي جد » ومأت برأسها تذرف دموعاً صامته ، لقد تعبت من البكاء والبكاء ، لقد قضت عمرها كلّه تبكي من تصرفات والدها و إهاناته لوالدتها ، تبكي قهراً على حظّها ووضعها والآن ماذا ؟؟؟ هل ستستمر بالبكاء والنواح إلى الابد .

مسحت دموعها تناظر صديقتها المذعورة بتحدّي وكبرياء « نعم ، أنا راح إتزوج إبن عمّي ، مازن خلص ، ماضي وراح وبالوقت لازم ما عود فكّر فيه ولا إبكي عليه .»

وقفت آخذةً إيّاها بحضنها « وأنت بتستحقّي السعادة ، وإذا بتحسّي إنّه وسام راح يسعدك فالله يوفقك حبيبتي ، وأنا معك بأي شي بتختاريه ، المهم تكوني مرتاحة ومبسوطة »

«أنا ما عاد بقدر أثق بمازن ، مازن تقرّب منّي بهدف يتسلّى ، وبعد ما عرف إنّه مش قادر يحصل على شي منّي بدون إرتباط صار بدّو يرتبط فِيّ ، شو بيعرفني سلام ، شو بيقنعني إنّه من بعد ما نتزوج ويحصل على الّي بدو ياه مني يزهق ، ويتخلّى عنّي بعدين ..... أنا .... أنا إلي أكثر من شهر قلقاني ، خايفة ، قلبي ناقزني منّه ، حتّى من قبل ما أعرف بموضوع

خيانته والبنات والسهرات والشرب.....» إستدارت مولية إيّاها ظهرها ، تشعر بالاختناق ، بالحيرة ، بأنّها تقسو عليه ، ولكنّها لا تستطيع أن تعيش الحياة التي تعيشها والدتها ، هي من عاشت وكبرت وعانت ورأت كيف تكون معاناة المرأة التي تتزوج رجل زير نساء ، يشرب ولا يهمّه دين ولا شرع .....

«أنا فهمانة عليكي ، وصدقيني مش لايمتك ، عملي الّي بريحك ويسعدك ...»

إستدارت اليها تواجهها من جديد ، تمسح دموعها الصامته « ممكن لاقي راحتي من دون ما كون سعيدة ، ممكن لاقي راحتي وسعادتي مع شخص ما بحبّه سلام ؟؟؟؟؟؟»

« الاحترام قبل الحب ، والاحترام بولّد الحب ، وأنا متأكدة إنّه وسام بحبك وما راح يئذيكي ، وبالنهاية راح يقدر يخلّيكي تنسي مازن وتحبّيه »

«سلام، ما تخبريه إنّي راح إتزوج ، بليز ، ما تخليه يعرف ، ما بعتقد إنّي راح إقدر واجهو ، بحس حالي بضعف قدّامه ، بتمنّى إنّه إتزوج وسافر قبل ما يعرف »

«أنا بفضّل إنَّكَ تحكيه ، حكيه على التلفون وخبريه ، أحسن إلك واله أماني ، المواجهة أحلى من الهروب ، إنت رايحة على بلاد ثانية ، مش ممكن تتركي كل شي بهذه الطريقة »

«لا ، لا ، ما عندي الجرأة واجهه ، طالما أخذت قراري ، خلّيني ثابتة عليه »
هزّت سلام برأسها تراقب صديقتها العزيزة تنطفئ تدريجياً ، لقد كانت سعيدة بعلاقتها مع مازن ولكنّ يبدو أن الأخير لا يريد التخلّي عن عاداته السيئة من أجلها ، بل يريد الحصول على كل شيئ ، ملاكه وشياطينه في آن معاً . ذلك اللعين .

****

دخل مازن المنزل يشعر بالإرهاق الشديد ، الشهر الماضي كان شهراً عصيباً جداً ،مرض والدته هدّ حيله وأغرقه بديون تفوق طاقته وقدراته ، إنّه يعمل وظيفتين بالنهار ، في الصباح يعمل بمحل لنقل البضائع وبعد الظهر يعمل بصالة عرض المفروشات الّتي يملكها زوج خالته والد عماد .
« هذا أنت مازن ، كيف حالك يا إبني ؟؟»
أتى صوت والدته الضعيف من غرفتها ، دخل عليها ، قبّل جبهتها « بخير أمي ، أنا مليح »
«مروى ، يا بنت ، حضري العشا لخيّك ، وجهزيله ليتحمم »

ترك والدته وذهب وراء أخته ، إنتشل هاتفه متردداً ، إنّه يفتقد لأماني ، وبذات الوقت لا يعرف ماذا سيقول لها إذا إتصل بها ، إنَّها غاضبة جدّاً منه ، ولا تريد التحدّث اليه ، عليه أن يجد وسيلة لإقناعها بأن تسامحه وتنتظر ريثما يصبح جاهزاً ليطلبها من والدها ، سيجمع بعض المال ويضيف بعض الغرف على منزل والدته ويجهزها كي يعيش فيها معها ، هي بنفسها أخبرته أنّه لا يهم أين تعيش ، المهم أن تكون معه ، نعم ، هي قالت ذلك .

جلس إلى الطاولة بمطبخهم الصغير والوضيع ، ينتظر تجهيز الطعام بشرود ، يقلّب بالصور التي يملكها فيه لأماني ، صور عديدة لا تحصى ولا تعد ، الكثير من السيلفي وأثناء رحلاتهما معاً وتواجدهما بالمطاعم والمقاهي وعند جبل الباروك ، كانا يبدوان سعيدين جداً ، ونعم ، إنّه يتوق ليشعر بالسعادة معها وبقربها لأنّه إكتشف بأنّ الحياة لا تساوي شيئ من دون أماني .

وضعت مروى طبق الطعام الساخن أمامه تتأمّله يقلّب بالهاتف بإبتسامة شفّافة نادراً ما تراها على وجهه . إبتسمت لإبتسامته مغادرة المطبخ بهدوء .

****

خرجوا من المحكمة الشرعية يتقبلون التهاني من العائلة والأقارب ، لقد تم كتب كتابها على إبن عمّها وسام والأسبوع القادم حفل زواجهما ورحيلهما بعد يومين إلى كندا نظراً لإنتهاء عطلة وسام وعليه العودة .

جذبها من كفّها برفق قائلاً بمرح مسبّباً إحراجها الشديد أمام العائلة «راح آخذ عروستي ونروح نأكل بوظة ، وأكيد مش راح إسأل حدا يروح معنا »
ضحك الجميع يعلقّون عليهما مسبّبين إزدياد خجلها وهو ضحك مسترسلاً جاذباً إيّاها نحو السيارة .

جلست قربه بصمت ، تفكر بهول الخطوة التي أقدمت عليها وتشعر بالخوف والذعر وعدم الاطمئنان وكأنّها إرتكبت جرماً عظيماً ، هل أخطأت بقرارها هذا ؟؟ هل تسرّعت ؟؟ مازن كان يخونها طوال فترة علاقتهما ، هل كان يستحق منها فرصة ثانية ، نفضت عنها تلك الأفكار تشعر بإنقباض رهيب بقلبها ،

ما كسره مستحيل أن يعاد ترميمه وهي ثقتها ، لقد خان ثقتها فيه ودمرها .

لاحظ وسام شرودها وهدوئها، إنَّها تشعر بالخوف من هذه الخطوة ، إذ عليها أن تتزوج وتغادر البلاد لغير رجعة ، ولكنه سيقضي على خوفها سريعاً إذ أقسم لنفسه بأنّ يحبها ويحترمها ويؤمن لها كل حاجاتها وطلباتها ، لأنّها تستحق .

أمسك بكفِّها البارد كقطعة جليد مصدوماً من برودته في فصل الصيف الحار وهي التفتت اليه تناظره بخجل، لا،بل تشعر برغبة شديدة للبدئ بالبكاء ، تشعر بأنّها تخونه ، تخون ثقته وتخون أحلامه ووعوده « حبيبتي أماني ، بك شي. عم ترتعشي كأنّك باردة ، عم بتحسّي بالبرد »

هزّت برأسها عاجزة عن فتح فمها ، إذ تشعر بأنّها إذ باشرت بالكلام ستعجز عن السكوت قبل أن تبوح له بكل شيئ وعندها سيكرهها ، سيكره أماني الخائنة .

أوقف السيارة على قارعة الطريق ونزل اليها ، أنزلها آخذاً إيّاها بأحضانه برفق ، يتنشق عبيرها الفريد، وهي تصلبت بين ذراعيه متمتمة « بعتذر منك ، بجد ، بس مجرد الفكرة راعبتني ، كل شي صار فجأة وبدون سابق إنذار ، بعد عقلي مش مستوعب إنّه بعد عدّة أيّام راح نتزوج وسافر معك »

شرعت كفَّيه تفركان ذراعيها بحركة مهدّئة قائلاً « أنا بفهمك حبيبتي ، ما في داعي للخوف ، بوعدك إني راح إسعدك وإجبرك إنَّكَ تحبيني مثل ما أنا بحبك»

رفعت رأسها محدّقة به بتساؤل ، لقد قال بأنّه يحبّها ، هل أحبّها بهذه الفترة الضئيلة التي تواجد فيها بمنزلهم لترى إبتسامته الشفَّافة « نعم ، حبيتك وبجنون ، الظاهر إنَّكَ مستخفة بنفسك وما عندك الثقة بأنّك قادرة على سلب قلب أي رجل بمجرد نظرة من ها العيون ، جذبتيني إلك من زمان وها المشوار تأكدلي إنّي بحبك من زمان ، بحبك يا أجمل أمنية تحققت الي »

غضّت بصرها تشعر بنار حارّة تجتاح معالمها ، تشعر بإرتفاع حرارة جسدها ، يا الله ، ما هذا الشعور الذي إجتاحها، وهو إستغل خجلها طابعاً قبلة على وجنتها لتشهق رافعةً بصرها اليه ليعلّق بمرح « شو !! ما فيكي تعترضي ، إنت زوجتي حلالي بس ما راح خوفك مرّة وحدة ، راح هيئك للموضوع تدريجياً ،بعد في عنّا أقل من أسبوع لنتدرّب »

إبتعدت عنه بجزع ، مستنكرة كلامه ، إنَّها المرّة الاولى التي تسمعه يتحدث فيها بوقاحة غير عابئ بالأصول ، هذا لا يجوز ، فضحك فاهماً ما تفكر به «أماني حبيبتي ، أنا أُعتبر

زوجك ، لذا ما في عيب ولا حرام بين إثنين مزوجين ولازم تتعوّدي على هذا الشي إتفقنا ، إعتبري ها أوَّل درس الك » عادت إلى السيارة تقول « ما وعدتني تطعميني بوظة ، وين ماني شايفة شي»

ركب السيارة أخذاً كفّها بكفّه طوال الطريق ، مع أنّها كل ثانية تحاول جذبها من قبضته ليشدد عليها أكثر رافعاً حاجبه يرمقها بتحدّي ، إنّه يشوش تفكيرها ، يحيطها بفقاعة مُنْسِيَّاً إيّاها العالم الخارجي ومن فيه ، فقط هم ، هي وهو ، تشعر بتضارب دقّات قلبها وروحها تتمدَّد داخل جسدها تسعى للتحرر والانطلاق ، وهذا ما يخيفها ، إذ تشعر به ، تشعر معه ، ترغب بأكثر من مسكة يد ، وهذا لا يجوز ، يجعلها تشكك بماهية مشاعرها لمازن؟؟؟ تواجدها هنا بالسيارة ممسكة بكف وسام تعوم بهذه المشاعر الجميلة، هل هذا يعني أنّها تحب مازن وتُحب وسام ، لا!! هذا غير صحيح ، هناك شيئ ما مفقود بهذه المعادلة وعليها أن تكتشفها سريعاً ، أو حتّى لا تكتشفها ، لا يهم ، لا شيئ عاد يهم ، لا شيئ . تشعر بالضياع والتخبط والحيرة ، تشعر بالرغبة لأن تهرب من كل شيئ ، تنعزل عن العالم وتختفي .

****

غداً اليوم المنتظر ، تشعر بالتوتر الرهيب ،وكأنّها غداً ستنقاد إلى الذبح ، ما هذا القلق والتوتر الذي يجتاح كيانها ، طالما هي مع وسام تنسى كل شيئ حولها ليبقى هما فقط لا غير وعندما يبتعد تعود إلى دوّامة الخوف والتردد .

غيّرت ثيابها مرتدية منامة حريرية زهرية اللون ، إستلقت بالسرير عاجزة عن النوم ، تشعر بالتوتر الشديد وإذ بها تستشعر حركة قادمة من خلف باب غرفتها ، رفعت رأسها عن وسادتها بنية تفقد الوضع وإذ بوسام يفتح الباب متسلّلاً داخل غرفتها ، شهقت نازلة عن السرير هامسةً له « وسام يا مجنون ، شو عم تعمل هان »

أحكم إغلاق الباب ورائه مولياً إيّاها كامل إهتمامه ، إنّه هو الآخر يرتدي منامته من بنطال قطني مقلم وكنزة بيضاء ضيّقة بارزة عضلاته الملفتة ، لتشعر فجأة بموجة حارّة إجتاحتها تركتها صامته مشدوهة الفاه تراقبه يقترب منها متربّصاً يراقبها بتمعن ، بإبتسامة مثيرة ، بنظرات متوعّدة ، تراجعت بضع خطوات حتى التقت بحافّة السرير ، وقف قبالتها ماسكاً خصلة من شعرها يلعب بها بخفّة هامساً « منّي قادر نام ، ناطر بكرا بفارغ الصبر ، لك شو صار للصبح ما بده يجي ، ناوي يجنّني »

ضحكت مصدرة صوتاً خافتاً من حنجرتها « بجد إنت مجنون ، ما عاد فيك تنتظر لبكرا ، شو بدّك يعني ، قول بسرعة وروح فل ، ما بيصير تكون هان ، إذا عرف حدا من أهلنا بيصير مصيبة »

رفع حاجبه بمكر « الكل نايم ، تأكدت من هذا الشي قبل ما إجي ، وبالنسبة لقول ، أنا جاي أعمل ، مش قول»

عقدت حاجبيها متسارعة أنفاسها، تترسخ فكرة ما قاله برأسها ، أشاحت بنظرها عنه تشعر بأنها ستفقد وعيها إذ إستمرّت بالتحديق بعينيه .

رفع ذقنها مجبراً إيّاها إلى النظر اليه مقترباً منها بهدوء مستلماً شفتيها بقبلة هادئة مستكشفة ، لا يريد التعمق بها كي لا يثير ذعرها ، يريد فقط تهيأتها للقادم ، خلق جو تآلف بينهما ، كي لا تجد تصدم بالواقع، وهذا بالضبط ما أقدم على فعله مجبراً على ضبط نفسه متوعداً بالمزيد المزيد عمّا قريب .

****

وأتى اليوم المنتظر، أماني في صالون التجميل تنتظر مع سلام ووالدتها وشقيقتها مريم ، هل تشعر بالسعادة كعروس

على وشك أن تزف لزوجها المستقبلي ؟؟؟ بكل أسف لا ، ولكنّها مقتنعة بقدرها ، مؤمنة بأنّ الله إختار لها الافضل ، وبأنّ وسام هو الافضل ، هي متأكدة بأنّ الله أبعد مازن عن طريقها لأنّه لا يناسبها إطلاقاً ولذلك هي مقتنعة وقانعة وتنتظر فرج الله لها .

نزل مازن من السيارة متوجهاً بسرعة إلى داخل صالة العرض ، دخل المكتب على عماد صافقاً الباب ورائه مسرعاً إليه ، رفعه من ياقة قميصه نحو الاعلى صارخاً به ملئ حنجرته « يا حقير ، بدّي إئتلك بإيدي ، بدّي إشرب من دمّك ، اليوم عرس أماني ، اليوم بدها تتزوج ، ليش ما خبّرتني ، ليش ما قلتلّي »

دفعه عماد بقوّة مسبباً له فقدان توازنه ، يراقب حاله بشفقة ، فهو لم يخبره كي يعفيه من عذابه والآمه ، يعرف بأنّه كان يحاول إيجاد طريقة لإستعادتها ، واثق من إسترجاعها « مازن ، بترجاك إهدأ ، البنت إجاها نصيبها ووالدها فرض عليها الزواج ، إنت ما بتعرف بيها ، رجل صعب كثير ، إذا بتحبّها إبعاد عن دربها وإتمنّالها السعادة »

ركل مازن الكرسي بقدمه بعنف ، يبدو فاقداً للوعي تماماً ، مجنون « كيف بتقلّي إنسى أمرها ، وأنا إذا خسرتها راح

إخسر نفسي ، أنا بدّي إتغير كرمالها ، بدّي إبني حياتي كرمالها » ردّد بصوت مخنوق يبكي ، يذرف دموعاً سخية .
إنقبض قلب عماد يشاهد إنهيار مازن بحزن وذنب، هل أخطأ بتدخله؟؟ إقترب منه يحاول إيجاد طريقة لتهدئته « مازن ، أنا بعتذر بجد ، بس بنصحك تنسى أمرها وتتركها بحالها »
مسح أنفه ودموعه بكم قميصه بعنف واقفاً من مكانه عازم « راح روح إحكي مع بيها ، قله إني بحبها ، إحكيله على كل شي ، أنا متأكد إنّه راح يختار سعادة بنته ، راح يقبل في ، أنا متأكد »
إنتفض عماد من مكانه مسرعاً اليه آخذاً إيّاه بين ذراعيه يصرخ به « أوعى ، أوعى تعمل هيك ، راح يقتلك ويقتلها ، أوعى تنزع عليها حياتها »
دفعه مازن عنه بعنف مسبباً إرتطامه بالطاولة الزجاج شاطراً إيّاها جارحاً نفسه بها ، وخرج مسرعاً نحو السيّارة ، عازم على فعل أي شيئ ، فعل المستحيل ، المهم أن لا تتزوج أماني من غيره ، أماني له هو وحده ، وعليه أن يمنعها عن الزواج من غيره .

وصلت أماني وشلّتها إلى المنزل ، إتصل بها أيمن يطالب بحضورها بأسرع وقت ، إذ يبدو أنّ هناك مشكلة بالمنزل ولكنّه لم يخبرها بالمزيد ، نزلت من السيارة بفستانها الأبيض الأنيق ، بأكمامه المطرّزة وقبّته الواسعة ، فستان أحلام كل فتاة بموديله الاوروبي الأنيق والهادئ ، تبرّجها الهادئ والبارز بإتقان وطرحتها الطويلة تصل لحدود أسفل فستانها .

لم تشعر إلاّ وسلام بقربها ، أمسكتها من ذراعها هامسةً بأذنها بصوتها المذعور المرتعش « أماني ، مصيبة ، مازن هان ، شوفي سيّارته »

إلتفتت أماني إلى السّيّارات القليلة المركونة في مدخل المنزل ، إذ سيقام حفل الزفاف في مطعم فاخر وطلبوا من المدعوين الذهاب إلى هناك مباشرة ، لذا العائلة والأقرباء والاصدقاء هم فقط سيذهبون معهم إلى المطعم .

إنتفض قلبها مرتعشةً أوصالها ، تشعر بوهن ساقيها عاجزتان عن حمل جسدها ، إتكأت على سلام لتسندها الاخيرة عالمةً بحالها

« ماما ، شو معقول يكون عم يعمل هان » شحب وجه والدتها تهزّ برأسها بذعر ، تتلفّت حولها بحيرة ، ماذا ستفعل الآن؟؟؟ كيف ستنقذ إبنتها من ثورة والدها . وإذ بوالدها يطل عن

الشرفة ، بوجه شاحب هو الآخر ، يناظرهما من الاعلى بغموض ، لا يبدو حانقاً ولا يبدو غاضباً ولا يبدو سعيداً كذلك الامر ، أشار اليهما أن يصعدوا ليجدوا أنفسهم ينصاعوا لطلبه دُفعةً واحدة ، صاعدين الدرجات القليلة بوهن وتردد ، لاقاهم والدها أمام غرفة محايدة ، فتح الباب وأشار لأماني وحسناء بالدخول ، تاركاً البقية خارجاً .

حملت أماني فستانها داخلةً إلى الغرفة لتتبعها أحلام وكأنّهما منقادتان إلى موتهما المحتم ، حررت الفستان من بين أناملها رافعة بصرها المضطرب لترى مازن ووسام جالسين على نفس الأريكة بهدوء تام ويتحدّثان وكأنّهما أصدقاء، رمشت عدّة مرّات غير قادرة على إستيعاب الّذي تراه ، وإذ بهما يرفعان بصرهما اليها يراقبانها كلٌّ على طريقته ، جالت بنظرها بينهما تحاول إستعادة أنفاسها التي شعرت بها تُسحب منها لحظة دخلت الغرفة ، تشعر بدوار شديد ، والتعب والارهاق والرغبة بالاختفاء ، الاختفاء من هذا العالم وما يحتويه .
وقف وسام من مكانه متقدماً نحوها، حاملاً هاتفاً بيده ، عرفته للتو ، هاتف مازن ، إقترب منها محدّقاً مباشرة بعينيها، وصل اليها واضعاً الهاتف بوجهها يقلّب بالصور ، صورها ، صورها

مع مازن ، صور للوهلة الاولى تبدو حميمية جداً ،لكنّها أبداً لم تسمح له بالاقتراب منها أو لمسها ، غير تلك المرّة التي أجبرها فيها على تقبيلها . دمعت عيناها تشعر بإرتعاشة أوصالها بعنف ، تشهق بإندفاع تحاول سحب أنفاسها بصعوبة ، إنتهى من الصور منتقلاً إلى الرسائل النصية ، الحب والغرام والاشتياق ، أغمضت عيناها عاجزة عن رؤية المزيد ، خجلة من نفسها وفعلتها ، ما كان يجب أن تقبل الزواج منه بهذه الطريقة ، كان يجب أن تخبره بالحقيقة مهما حصل .

وبكل هدوء أنزل الهاتف يسألها « شو تفسيرك لكل هذا يا عزيزتي أماني »

فتحت عيناها الغائمتان عاجزة عن النظر اليه ، عاجزة عن التفوّه بكلمة ، جالت بنظرها لترى والدها جالس على مقعد قريب بإنكسار ، وهي في حياتها لم ترى والدها بهذه الهيئة ، ومازن جالس على المقعد الثاني يراقب الوضع بترقب ، وماذا يظن بأنّه سيحدث بعد هذا؟؟ هل أتى لينتقم منها لأنّها إختارت أن تتزوج غيره ؟؟

« الشب هان عم بيقول بأنّك أنت وهو ...» سكت للحظات مدّعياً التفكير « آه ، كيف بدّي سمّيكم ، عشّاق .»

شهقت بإستنكار ، تناظر مازن الجالس بصمت وكأنه إستوعب فضاعة ما قام به ، أو أنّه ينتظر بكل بساطة تأكيدها على ما قاله ، فتحت فاها ، تحاول إيجاد صوتها الذي ضاع مع مستقبلها وحياتها وسمعتها وكرامتها .

هزّت برأسها لتسمع والدتها تقول مبررة « هذا الحكي منه صحيح ، أماني حقيقة كانت تعرفه بس قطعت علاقتها فيه من زمان وبحياتها ما غلطت بشي ، كل الي صار إنّه كانت مفكرته راح يتقدملها ويتزوجها وبالآخر طلع صايع »

التفتت إلى والدها بذعر، لا تريدها أن تعترف بأنّها كانت على علم بهذا الموضوع أمامه ، سيقتلها ، وإذ بوالدها يقف من مكانه مقترباً منها بكل هدوء ، وقف بوجهها «إذاً، كنت مشاركة بجريمة بنتك ، بدّك ياها تطلع مثلك ، سايبة وخايبة ، يا حقيرة ، أنا غبي الّي ما طلّقتك من زمان وإرتحت منك » أنهى عبارته صافعاً إيّاها بعنف مسبباً لها فقدان توازنها ، صرخت أماني راكضة نحو والدتها تحاول حمايتها من ضربات والدها المتلاحقة لتتلقاها عنها ، إذ أمسكها من شعرها دافعاً إيّاها يصفعها ويصفعها بعنف .

أسرع وسام ومازن اليه لكن وسام كان الأقرب الأجرأ بدفع عمّه منقذاً أماني من قبضته .

«عمّي ، لو سمحت ، إهدأ ، ما بدنا فضايح ، ما تنسى إنّه البيت ملآن مدعوين ، ما بدنا الخبر ينتشر ، بالنهاية هاي بنتك ومرتك ، وأماني بالوقت بتنعد زوجتي، حاملة إسمي »

« أنا بتبرأ منها ومن إمها ، خليها تفل ، تروح بستين داهية»

شهقت أماني دافنةً وجهها بين كفّيها لتشعر بوسام جاثي بقربها يسألها بهدوء تام « أماني ، جاوبيني ، إنت عم تتزوجيني غصب ، عمّي غصبك على هذا الزواج؟؟ »

كشفت عن وجهها تجول بنظرها الغائم بين وسام ووالدها الذي يبدو على إستعداد تام للإنقضاض عليها من جديد ، هزّت برأسها متمتمة بصوتها المتهدّج « لا ، بابا ما جبرني على شي ، أنا قبلت الزواج منّك بدون أي ضغوطات »

تململ مازن بوقفته ،صامتاً ، يراقب الأحداث بحزن وخيبة وندم ، لقد دمّر لها حياتها ، وماذا كان يظن بأنّه سيحصل ، سيربت والدها على ظهره ويقدمها له على طبقٍ من فِضَّة ، لقد دمر لها حياتها .

«أماني ، إنت مين بدّك ، إذا رجعنا وخيّرناك ، مين بتختاري أنا أو هذاك الشب »

توقفت عن النحيب متفاجئة من سؤاله ، هل هو حقاً يخيّرها؟!!

وإذ إختارته هو هل سيتمم هذا الزواج ؟؟!! الن يطلّقها بعد هذه الفضيحة !!؟؟وبدون تردد أو حتى النظر ناحية مازن قالت بكل ثقة « أنا بختارك أنت ، وحتّى لو إنت تركتني وبابا سمح لي إنّه إتزوج مازن ، من المستحيل أن أتزوجه ، لأنّه ما بيملك ولا صفة من الصفاة الّي برغب أنّها تكون بشريك حياتي »

ومأ برأسه واقفاً من مكانه ، التفت إلى مازن ، إنتشل مبلغاً مالياً من جعبته ورماه اليه قائلاً « بعتقد إنَّكَ سمعت كل الّي لازم تسمعه ، وهلّق لو سمحت في عنّا مدعوين ناطرينّا بالمطعم ، تفضّل بلا مطرود ، وبالنسبة لتلفونك فيك تشتري غيره بهذه المصاري ، إتفضل »

وقف مازن من مكانه يأبى أن يتحرّك من مكانه ، وهل بهذه البساطة سيتم طرده ومتابعة الزفاف ، هل جنّ هذا الرجل ، كيف سيتزوج من إمرأة غيره «أنا بدّي تليفوني لو سمحت، فيه إشيا مهمّة أنا بحاجة الها، وأنت كيف بتقبل على نفسك تتزوج من بنت كانت مع غيرك كانت لغيرك »

إنقضّ وسام عليه ، لقد طفح كيله ، ماذا يقصد بأنّها كانت لغيره أمسكه من ياقة قميصه بعنف نابراً به بغيض « شو قصدك بهذا الكلام ، حكي يا حقير »

أسرعت أماني اليهما « هيدا الحكي منه صحيح ، مازن عم يكذب ، أقسملك ما صار شي بيناتنا »

«وشو بتسمّي الّي صار بالحرش ، أنا بالنسبة الي كان كثير ، إنت الي ، والبيناتنا أكثر بكثير من ما إنت بتتصوّري ، أنا بحبك ، بحبك أماني ، بترجاك ، إختاريني وأنا بوعدك إني راح أعمل المستحيل حتّى إسعدك »

جال وسام بنظره بين أماني ومازن بصدمة، لا يصدّق ، زوجته الصغيرة ، البريئة والعفيفة ليست بعفيفة ، إقترب عمّه منهما يسأل بصوته التخين « شو عم بيصير هان؟؟ »

حدّقت أماني بهما برجاء ، أن يستروا عليها ، أن لا يفضحاها أكثر مما فعل ذلك الحقير الدوني لتسمع وسام يقول « ما في شي عمّي ، الاستاذ هان راح يتفضّل ويفل من البيت بإحترام وإلاّ راح إستدعي حمّالة تجي تشيله على المأبرة دغري »

أخذت أماني نفساً كان مقطوعاً مبتعدة عنهما ، تشعر بأنّها على وشك فقدان وعيها . جلست بوهن على أقرب أريكة صادفتها لتشعر بوالدتها تجلس بقربها بصمت ووسام قاد مازن أمامه خارج الغرفة ووالدها لحق بهما .

وعندها إنهارت تماماً ، فاقدة رباط جأشها، إحتضنت والدتها تبكي وتشهق بمرارة .

****

تأكّد وسام من مغادرة مازن عائداً بإنتباهه إلى الغرفة المغلقة الّتي تظم المرأة التي بدأ يرسم حياته ومستقبله معها ، إبنة عمّه التي إختارها من بين مئات النساء كي تحمل إسمه وتنجب أطفاله،ليكتشف يوم زفافهما بأنّها ليست سوى خائنة وكاذبة ورخيصة .

عصر قبضته بعنف غارزاً أظافره بلحم راحتيه، لقد غصب نفسه على تمالك نفسه وعدم الأقدام على قتل ذلك الحقير نهائياً، تدميره وكسر أسنانه وإقتلاع عينيه تلك اللتان كانتا تراقبان أماني بوله ، الحقير، السبب الوحيد الذي يجبره على إتمام هذا الزواج هو بأنّه متأكد بأنّ عمّه سيقدم على ذبحها إذ لم يفعل ، ضحك بإستّزاء ، وما همّك بها ، فاليذبحها ، كل فتاة تفرِّط بشرفها بهذه السهولة تستحق أن تُذبح ، هزّ برأسه بقهر ، لا ، لا يستطيع تركها تحت رحمة والدها ، ولكنّه سيعلّمها ، سيجعلها تندم على اللحظة التي قررت فيها أن تخدعه وتكذب عليه وتهبه نفسها على أنّها فتاة بريئة شريفة ، وكأنّه غبي ، لن يكتشف كذبها .

رأى صديقتها المقربة تخرج من الغرفة التي تحتويها ، لقد تأخر الوقت ووالديه بدؤو بالقلق ، إذ المطعم إمتلئ بالمدعوين وهم وحدهم هناك لإستقبالهم ، دعاها بإسمها لتقترب منه بتردد ، رافعة عيناها الحمراوتان اليه «سلام لو سمحتي ، إتصلي بمصففة الشعر الّي كانت عندها أماني ، خلّيها تجي حالاً ، تعيد تجهيزها بسرعة ، ما عاد عنّا وقت »

ومأت برأسها مسرعة نحو هدفها وكأنها كانت تنتظر منه هذا التأكيد .

دخل عليها الغرفة ليجدها بين أحضان والدتها الّتي ما إن رأته حتّى حرّرتها تاركةً إيّاها ، فاسحة المجال لهما للكلام .

جلس بقربها بصمت ، وهي مسحت دموعها لتحل مكانها أخرى ، فتحت فمها تقول بصوتها المرتعش المتهدّج «ليش بعد كل الي سمعته وبعدك مصر على إتمام الزواج ، أنا بعفيك، منّك مضطر لهذا الشيئ »

وقف من مكانه يشعر بالدماء تفور بعروقه ، بالغضب والرغبة لضرب أحدهم ورؤية دماء تسيل .

عاد بإنتباهه اليها يرمقها بقرف وإشمئزاز « هيدا الشي ما بيخصّك ، إنت الّي عليك تقومي تغسلي وجهك وتتفضّلي تجي

معي على حفل زفافنا العزيز كأنّك عروس سعيدة ونالت فارس أحلامها ، إتفضلي ، إتأخرنا »

****

أتت مصففة الشعر وأعادت ترتيبها وتجهيزها من جديد ، ذهبت إلى حفل زفافها كما كان مخطط،جلست على المسرح تستقبل التهاني بهدوء تام ، شاردة وخائبة ، تفكّر بما ينتظرها ، وسام يتصرف بعفوية ، وكأنّ كل شيئ على ما يرام ، ولكنّها تعلم بأنّ ليس هناك من شيئ على ما يرام ، لقد خسرت فرصتها بأن تعيش حياةً طبيعية كباقي البشر ، كان الزواج هو أملها الوحيد للخروج من دوّامة والدها لتقع بهاوية مظلمة لا قرار لها .

وقف وسام مع مجموعة من أصدقائه يتحدّث ويتسامر معهم وباله عند أماني ، يعيد بعقله أحداث النهار بطوله ، لقد كان سعيداً جداً بها ، متحمّس لدرجة لم يقدر على أن ينام الليل بطوله منتظراً هذا النهار ليُصدم بشاحنة كبيرة ممزقّة أحلامه وأماله بكل قسوة ، ضحك بسخرية يفكّر بأهله وطلبهم ، لا

يريدونه أن يتزوج من كندا لأنّهم يريدونه أن يتزوج بفتاة ريفية طيبة بريئة وعفيفة ، « تعي يا ماما شوفي العفيفة الّي تزوجها إبنك العزيز »

«هاي وسام ، وين شردت يا زلمة ، والله وعملتها وتزوجت ، ونحن كنّا نقول إنّك آخر واحد بيوقع بيناتنا إجيت سبقتنا كلنا ، بس بجد ، أحسنت الاختيار ، بإسم الله ما شاء الله عروستك آية من الجمال »

عقد وسام حاجبيه يجأر صديقه المقرّب الّذي أتى مخصص من كندا كي يحضر زفافه ، عائداً بإنتباهه إلى زوجته العزيزة ، التي تجلس على المسرح بهدوء تام تحاول التماسك ، تحاول أن تبدو سعيدة بحفل زفافها ولكنّها لا تعرف بأنّه سيقلبه عليها جنازة ، تلك الساقطة الرخيصة ، ليعود ويؤنّب نفسه ، لماذا لم تتركها وتتخلّص من مصيبتها ، إنَّها ليست مسؤوليتك وليقتلها ، وما همّك يا غبي . ولكنه عندما ينظر اليها يضيع ، يشعر بأنّه فعل الصواب بإبقائها تحت رحمته بدل رحمة والدها .

أخذها من كفّها جاذباً إيّاها ورائه هامساً لها من بين أسنانه « ضحكي ، حاجة عابسة كأنّك رايحة على الذبح ، بدنا نقطّع

أحمد القادري

الكايك ونرقص آخر رقصة ونروح على الأوتيل ، أكيد بتعرفي شو بيصير هانيك ، وحدة خبرة مثلك منها بحاجة لدروس خصوصية ، وأنا مثل الغبي كنت خايف عليكي تنصدمي من العلاقة »

مشت ورائه تحاول مجارات خطواته الواسعة والسريعة ، تشعر وكأنّها ستتعثر بكل خطوة تخطوها .

وقف بها أمام قالب الحلوى الّتي لم تكلّف نفسها عناء النظر اليه ورؤية شكله ، أعطاها سِكّين مزخرف ممسكاً بكفِّها ليبدأ المصور بأخذ الصور دون توقف ، أخذ بكفِّها تحت كفّه قابضاً عليه بعنف شديد وقاده نحو قالب الحلوى ، ليبدأ بتقطيعه ، لتشعر بأنّ قلبها يتمزّق مع كل شكّة سكين فيه ، تشعر بالاختناق ، بالعجز ، بالتعب من التمثيل بأنّها سعيدة وفرحة ، تحتاج لأن تختلي بنفسها تنهار وتبكي ، والدها لم يهنِّئها ، بل لم ينظر اليها طوال الحفلة ، يدّعي وكأنها ليست موجودة ووالدتها المسكينة ، إنَّها قلقة جدّاً عليها ، خائفة من ثورة والدها بعد إنتهاء هذا اليوم ، ماذا سيحصل لها؟؟ والدها لن يمرّرها لها بسهولة .

شهقت بخفوت لحظة شعرت به يأخذها بين ذراعيه جاذباً جسدها المتصلّب إلى جسده الصلب يرمقها بإبتسامة حاقدة ، لا يرى الاّها يراقصها على أنغام أغنية My Immortal حدّقت به تحاول إستيعاب سبب إختياره لهذه الاغنية بالذات هل هي حقّاً أذته إلى هذه الدرجة ، تنهّدت بعمق تحاول منع نفسها عن البكاء تتأمّل عينيه غارقتان بظلمتهما وهو إستمر بالتحديق وكأنّه يحاول إيجاد شيئ أضاعه هناك ، هل يحاول إيجاد أماني البريئة ؟؟ تلك الفتاة التي أسرت قلبه وروحه على غفلة منه . لم يشعر إلاّ وهو يردد على مسامعها كلمات الاغنية.

حاولت إقناع نفسي بأنّك رحلت
لأكتشف أنَّك ما زلتِ تمتلكيني كليّاً
وجهك يطارد أحلامي اللطيفة
وصوتك يطرد كل السلام من عقلي
جراحك لن تشفى أبداً
وهذا الالم الذي يجتاح كياني حقيقي حقاً
ولا أظن بأنّ الوقت قادر على معالجته

تلقلقت عيناها تذرف دموعها بحرقة ، عاجزة عن حبسها أكثر وهو إبتسم لها وكأنّه كان ينتظر هذه الدموع منذ الصباح ، رفع حاجبه يتأملها ببرودة تامّة يراقب دموعها تنساب بحرّيّة . ضحك ساخراً« خدعتني بنت العم ، خدعتني وأنا الّي كنت قاطع السابلة بكندا ، لتجي وحدة صغيرة ، حشرة متلك تخدعني وبها البساطة ، لفرجيكي نجوم الظهر يا حقيرة » إنتهى من حديثه جاذباً إيّاها أمامه على مرأى من جميع المدعوين ، قائداً إيّاها نحو الخارج تتعثّر بفستانها بكل خطوة تخطوها ورائه ، قلبها ينزف حزناً والماً وإرهاقاً ، ما عادت قادرة على تحمل المزيد من الضربات ، يكفيها ما تلقته منذ الصباح ، مازن خان ثقتها ودمّر لها مستقبلها ، تسبّب بحصول عداوة بينها وبين والدها الّذي لم يخاطبها أو ينظر بإتجاهها طوال السهرة ، بل إكتفى بالجلوس إلى طاولته منكّس الرأس عاجز عن رفع بصره إلى ويسام ، يشعر بالخزي والخجل من فعلتها الشنيعة ، ومع كل هذا ضميرها يؤنّبها، لا تستطيع نزع صورة مازن المكسور والمتألّم من بالها ، يرجوها أن لا تتزوج ، أن تعود اليه، لقد أذته بطعنة ليعيدها لها بقطع رأسها ، من الظالم ومن المظلوم هنا؟؟؟؟

لحقت بهما زوجة عمّها والدة وسام تسأله التمهل « وسام ، ماما هيك ما بيجوز ، على القليلة ودّع الناس وبعدين خذها وروح »

«ماما أنا عملت كل الّي بدك ياه ، لبست بدلة وعملت عريس ونفّذت كل طلباتك بس لهان وبس ، إنتهى دوري ، روحي ودعي الناس عنّي ، أنا رايح ، أماني تعبت والظاهر إجتها نوبة بكاء ، بدّك المدعوين يشوفوها عم تبكي »

القت نظرة حانية إلى تلك المسكينة الواقفة بقرب السيّارة بفستانها الأبيض تبدو حورية خيالية ، آه ، لكم إزدادت جمالاً بعد أن كبرت ، إنَّها سعيدة بها حدّ الاكتفاء ، إقتربت منها تحتضنها برفق « حبيبتي ، أكيد إمّك مخبرتك بأحداث الليلة وما تقلقي ، أنا متأكدة إنّه وسام راح يهتم فيكي كثير ، ما تخافي ، أوك»

نخر وسام ضاحكاً بسخرية من كلام والدته متكئاً إلى السيارة مكتّف الذراعين يراقب الوضع بشيئ من التسلية لتتابع والدته « بدّك إحكي إمّك تجي لعندك ، بدّك تشوفي أهلك قبل ما تروحوا على الأوتيل»

ليقاطعها وسام بعجل « لا ماما ، أنا ماشي هلّق وما بدّي شوف حدا» وجذب أماني من ذراعها مدخلاً إيّاها إلى السيّارة بعنف فنادته والدته مستنكرة تصرفه .

« وسام ، يا إبني ، شوي شوي على البنت ، بدّك تجننها ، إذا بالوقت عم تتصرف معها بخشونة ، شو بدنا نتوقع منك بعدين »

«أنا رايح » هذا ما قاله وركب بالسيّارة منطلقاً بها بسرعة هائلة .

****

الفصل الخامس

«مازن ، مازن ، إصحى ، خليني آخذك على البيت » ناداه عماد يحاول إيقاظه من غفوته المضطربة ، لقد شرب حتّى إنطفأ ، بكى وناح ودمَّر كل ما يحيط به ، إنهار تماماً ، حتّى أنّه إضطر إلى إستشارة طبيبة نفسانية علّها تساعده لتخطّي ما يمر به ، إنّه حزين ، غاضب ، ثائر ، ويرغب فقط بتدمير كل ما يصادف طريقه ، يبكي وينوح فراقها ، سيجن لمجرد أن يتخيل براءة وعفّة أماني تدنّس من قبل إبن عمّها ، أماني له هو وحده ، عفّتها له وبراءتها له ، وكل ما فيها له ، لا يحق لأحد غيره بها ، هذا ما إستمر بتكراره طوال الليل ، وعزم عماد على البقاء بقربه خوفاً من أن يذهب إلى حفل زفافها وإثارة فضيحة آخرى للمسكينة ، لقد دمّر زواجها ، الله وحده الأعلم ما ينتظرها .

تململ مازن رافعاً رأسه عن الطاولة يتمتم بغضب« خانتني ، تخلّت عنّي وتزوجت واحد أغنى منّي ، تخلّت عنّي لأني فقير وما معي إفتحلها بيت ، خاينة ، أماني تخلّت عنّي، قالتها بوجهي ، إنَّها ما بدّها ياني،وأنا الغبي كنت مفكر بيها عم

أحمد القادري

بيزوجها غصب عنها، قلت إذا رحت وإعترفتله بحبي الها بيتراجع عن قراره وبيزوجني ياها » دفع الأكواب عن الطاولة مسبباً وقوعها على الارض دُفعةً واحدة مصدرة صوتاً مزعجاً لينتفض ناحية عماد منقضّاً عليه « إنت السبب ، كلّه الحق عليك ، بدّي أقتلك ، إنت السبب ، أنا خسرت أماني بسببك ، تركتني ، تزوجت هذاك الغني والّي معه مصاري كثير » حاول عمّاد تهدئته ، أمسكه من ذراعية قائداً إيّاه إلى سيّارته ليمشي بخطى متعثّرة يتمتم بحروف غير مفهومة ، لا يفهم منها الاّ أماني ، أماني ، لقد أحرقت قلبه ، لم يتصور في حياته كلّها أن يجد الفتاة التي ستوقعه بشباكها ومن ثم تتركه دون عودة ، يا لسخرية القدر ، لقد جرح ولعب بمشاعر الكثيرات لتأتي بريئة ببراءة أماني وتقضي عليه نهائياً ، تكون بالنسبة اليه الضربة القاضية .

****

أوقف السيّارة ونزل منها ، فتح الصندوق أنزل منها حقيبته ودخل إلى الأوتيل بإندفاع دون حتّى إنتظارها.

فتحت باب السيّارة بأنامل مرتعشة ، نزلت تحاول أن تجد طريقها عبر فستانها الطويل ، الارهاق والتعب هدّا حيلها تريد فقط أن تخلع عنها هذا الفستان وتجلس بصمت ، بهدوء ، تلفتت حولها منتفضة شعيرات بدنها ، العتمة والسكون العميق يلفّان المكان ، القمر بدر ، دائرة فضّية تطل من وراء الجبل البعيد ، والنجوم ساطعة منيرة .

تنّهدت بحزن لاحقة بوسام إلى الداخل لتجده قد إنتهى للتو من تأكيد حضورهما ، أخذ الحاجب الحقيبة ومشى أمامه نحو المصعد ، تبعتهما مسرعة بخطاها حتى وصلت اليهما دافعةً نفسها وفستانها إلى الداخل .

حدّق وسام بقفاها يفكر بمصيره معها ، لا يعرف ماذا سيفعل ، هل يطلّقها؟؟أم يأخذها معه إلى كندا؟؟ وما حاجته اليها ، فإنّه يشعر بالاختناق من مجرد النظر اليها ، كيف سيتحمّل أن يعيش معها تحت سقف واحد؟؟

زفر أنفاسه بحنق قابضاً على قبضتيه بعنف شديد، عاجز عن التفكير بمنطق إذ أنّه واقع بصراع مع ذاته ، يريدها ولا يريدها ، يشعر بالرغبة لدق عنقها ومن ثم يشعر بالرغبة لإبقائها على قيد الحياة كي يشتف من دمها .

دخلا الغرفة ، وهو باشر بخلع ثيابه لحظة أغلق الباب ورائه ، خلع سترته ربطة عنقه وتبعه بقميصه كاشفاً عن عضلات صدره الأسمر وظهره الصلب ، ساعديه الضخمين المنتفختين اللتان تنقبضان وتتمددان مع كل حركة يقوم بها ، فتح الحقيبة الصغيرة منتشلاً منها ثياباً وتوجَّه نحو الحمّام دون أي تعليق ، متجاهلاً وجودها تماماً ، ما تزال واقفة عند المدخل تراقبه بخوف وذعر يتحرك بعصبية حول المكان .

توغلت نحو الداخل لحظة إختفى وراء باب الحمّام ، تتفقد المكان حولها ، تناظر السرير بذعر ، سرير واسع وكبير بشراشف رمادية متعددة الدرجات مع خيوط فضّية ، غرفة جلوس صغيرة مع طاولة ومقعدين ، تلفتت حول الغرفة بتساؤل تحاول إيجاد حقيبتها ، لتنتبه بأنّه لم يحضرها من السيّارة ، إرتعش قلبها ، أيعقل أنّه نسيها أم تقصّد فعل ذلك ، ربما ظنّ بأنّها ستجلبها، حاولت إيجاد مفتاح السيارة كي تعود أدراجها لإحضارها، وعندما لم تجده بأي مكان حولها ، إقتربت من سترته ، حملتها بين كفّيها تتلمّس جعبته بتردد ، لتنتفض بذعر لحظة سمعت صوته الحانق يخاطبها «شو عم تعملي يا ست ؟؟؟»

أوقعت السترة أرضاً رافعة بصرها المضطرب اليه متمتمة بصوتها المتهدّج«شنطة ثيابي ، بعدها ، بالسيّارة ، بدّي مفتاح السيّارة ...» وعادت بنظرها إلى السترة تنتشلها عن الارض .
توّغل داخل الغرفة منتعشاً من حمّامه ، رائحته شهية ، شعره مبلل ويرتدي القطعة السفلية فقط من بيجامته، إبتعدت عن دربه لحظة مرّ بقربها مشتعلة خجلاً وأشياء أخرى لتسمعه يقول بكل برودة « ما كان في بالصندوق إلاّ شنطتي »
توقف قلبها لحظة إستوعبت ما قاله ، ثيابها، أغراضها، ثوب الصلاة ، هاتفها،دواء الحساسية لقد أتت بدون أي شيئ ، فقط بهذا الفستان وما ترتديه تحته من لانجري أبيض ، فكرة وجوده تحت فستانها تجعلها تخجل حدّ الإرهاق .
للحظة رقَّ قلبه وهو يشاهد الدماء تغادر وجهها تاركاً إيّاه شاحب حدّ الموت ، ولكنّه إبتعد عن دربها مدّعياً عدم إكتراثه ، ولماذا يكترث ؟؟ فالتذهب إلى الجحيم.
الساعة شارفت على الثانية بعد منتصف الليل ، لقد أخذ معهما الطريق ساعتين قيادة ، وهو لم يذق طعم النوم الليلة الماضية ترقباً لهذه الليلة المشؤومة.
إندس تحت الشراشف، رافعاً الهواء الاصطناعي إلى أقصاه أطفأ الأنوار مستعداً للنوم .

وقفت وسط الغرفة تحاول إستعادة أنفاسها التّي إنسحبت منها دُفعةً واحدة ، تشعر بالاختناق ، بالقهر ، بالاشفاق على حالها ، أصعب مرحلة بحياة الانسان أن يغتاله الشعور بالشفقة على حاله ، أن تتم إهانتها دون أن تكون قادرة على الدفاع عن نفسها لأنّها بكل بساطة مذنبة وتمّ إعلان الحكم عليها بقسوة ودون رحمة ، وبهدوء تام وخوفاً من تثير غضبه ، خلعت حذائها تتلمّس طريقها نحو غرفة الجلوس الصغيرة الّتي تتظمن مقعدين فرديين قرب النافذة ، وصلت اليها جالسة على إحداها ، لا تستطيع الاستلقاء عليها ، ستضطر للنوم عليها بوضعية الجلوس ، إرتعشت أوصالها من شدّة البرودة التي إجتاحت الغرفة دُفعةً واحدة ، ساد الصمت أرجاء الغرفة ليغلب صوت الهواء الدافق بنعومة داخل الغرفة .

هزّت برأسها ، فاتحة فاها ، تحاول إخراج صوتها ، تسأله أن يخفض من برودة الهواء قليلاً ، لتعود وتتراجع ، سيرفض ، سيهينها بالرفض .

جلست بهدوء تام ، لا الوضعية ولا البرودة تركا لها المجال لأن تغفو ولو للحظة ، بل قضت الليلة تسبّح الله تستغفره وترجو عفوه ، منتظرةً قدوم الصباح ، علّه يجلب معه الخير .

فتح عينيه على الضوء الباهت الذي تسلل إلى الغرفة من فتحات الستارة السميكة ، رفع رأسه عن الوسادة يفتش عنها ، لقد غفا بعد صراع طويل مع نفسه حاثّاً إيّاها على أن تهدأ ويتوقف عن التفكير والاستسلام للنوم .
وجدها بزواية الغرفة ، تجلس على الأريكة محدّقة بالفراغ أمامها، شاردة الذهن ، جامدة ، حدقتاها كحجرين جامدين ، لا يتحركان ، نفض عنه الغطاء نازلاً عن السرير ، مترقّباً منها حركة ، أي شيئ ، ولكنّها بقيت على حالها ، دخل الحمّام وخرج ، بدّل ملابسه وتجول بالغرفة منتظراً منها أن تقف من مكانها ، تتحرك ، تطلب منه شيئ ، تسأله شيئ ، ولكنّها إستمرت بالسكوت القاتل ، بالخبث ، وعدم إبداء ردّة فعل لأي شيئ وعندما ملّ منها ترك الغرفة صافقاً الباب ورائه .

رفعت بصرها محدّقة بالباب لعدّة دقائق ،تفكّر بوضعها وحياتها ، لقد عاشت طفولتها بخوف دائم من والدها على والدتها ، لم تشعر أبداً بالانتماء إلى عائلة ومنزل وأمان ، والدها رجل عصبي زير نساء أخلاقه صعبة جداً ويكره والدتها لأسباب مجهولة ، وعت على هذه الدنيا تدعو الله أن يرزقها إبن الحلال الّذي سيخلّصها من جحيم والدها ، كان هذا الامر

أملها الوحيد وَالَّذِي دفعها إلى الاستمرار بالحياة والمثابرة والتقدم بإنتظار حظّها الّذي سيأتي وينتشلها من حفرتها ، ولكنها الآن بماذا ستدعو الله ، من سيأتي وينقذها من هذا الجحيم ، هل كتب عليها أن تعيش حياة والدتها ، مع رجل سيكرهها ويعاملها بقسوة وبرودة إلى أن يتطور به الامر إلى ضربها وتعنيفها ، تنهّدت بأسى، وبحركة ميكانيكية وقفت من مكانها بصعوبة بالغة جسدها متصلّب من الجلوس بتلك الوضعية ومتشنّج من شدّة الضغط عليه من وطأت البرد الّذي تركها ترتعش بعنف طوال الليل .

أطفأت الهواء تتنهّد بإرتياح ، حاملةً فستانها الكبير والثقيل معها داخلةً إلى الحمّام ، وقفت أمام المرآة تتأمّل شحوب وجهها ، تبرجها الفاسد، وروحها الممزقة ، بمن ستتصل كي يحضروا لها حقيبتها ، هل إنتبهوا بالمنزل بأنّها ما تزال هناك حتى أن هاتفها بداخلها.

تنهّدت بحزن حتّى أنّها لن تجرؤ على الاتصال بالمنزل والطلب منهم أن يُؤْتُوا بحقيبتها اليها ، آه ، يا وَيْل ما لا سند له بهذه الحياة ، يعيش مكسور الروح والعزيمة ، لا يجرؤ على محاربة الطغاة لأنّه بكل بساطة وحيد في وسط معركة دامية .

خلعت فستانها ، فكّت شعرها، إغتسلت ، أعادت الفستان عليها ، ساترة شعرها بالملاءة ، جاهدت بإستقبال القبلة وصلّت ما فاتها من أوقات وما عليها وعادت إلى السكون ، تسبّح وتدعو الله أن يبرّد قلبها ومشاعرها وينعم عليها بالصبر والسكينة كي تتحمّل القادم بطيبة خاطر وبرودة أعصاب.

خرج كل النهار ولم يعد إلاّ عند أخر الليل ، ذهب بالمخطط الذي وضعه لقضاء شهر العسل ، ولكن وحده ، وما أمتع أن تخرج وحدك تشاهد المعالم السياحية بملل شنيع ، ينتظر فقط مرور الوقت ، لا يريد العودة ويغلق عليهما باب الغرفة ، لا يشعر بالرغبة لمواجهتها ، غداً سيعودان إلى الضيعة ومن ثم يسافران في اليوم التالي مباشرة .
وهل تريد أخذها معك وسام ؟؟؟ وماذا تريد منها ، وأنت تشمئز من فكرة تواجدها حولك فقط ، وماذا ستفعل ، أتعيدها لوالدها كي ينحرها أمام ناظريك كي تحضر جنازتها قبل رحيلك ؟؟؟؟

عاد بآخر الليل مستعدّاً للنوم ، يرجو أن تكون نائمة ولا يضطر لرؤيتها أو سماع صوتها .

دخل الغرفة الحارّة جداً ، وكأنّها فرن مشتعل ، أسرع إلى الهواء الاصطناعي واضعاً إيّاه إلى أقصاه ليلفت نظره جسدها الجاثي أرضاً ، متّكئة برأسها وذراعيها إلى الأريكة الصغيرة غافيةً بإرهاق ، ماتزال بفستان زفافها ، لقد أمر بإحضار وجبات الطعام إلى غرفتها، ما تزال الثلاث وجبات كما هي ، لم تأكل منها شيئ ، أيعقل بأنّها لم تأكل طوال النهار.

تنهّد بإرهاق ، دخل الحمّام إغتسل وخرج منه منزلقاً تحت اللّحاف يغط بنوم عميق .

وهي تململت بنومتها المرهقة تشعر بالبرد عاد يجتاح الغرفة ، فتحت عيناها تراقب محيطها لتجد أن الليل جنّ وأنّ زوجها عاد ، وقفت من مكانها متسلّلةً داخل الحمّام ، أغلقت الباب عليها تنعم بدفئه ، جلست على الارض ساندة ظهرها إلى الجدار ، مغمضةً عينيها تحاول أن تنام لتجتاحها الكوابيس المقلقة طوال الليل .

****

بعد شهر

وقفت عند النافذة تراقب ملعب الأولاد المقابل بيتها ، لقد أتت معه إلى كندا، وضعها في هذا المنزل وهجرها ، يأتي كل عدّة أيّام جالباً معه بعض الاغراض للمنزل من طعام وخضار ومعلّبات ، يطرق الباب تاركاً الاغراض وراءه ويرحل ، دون حتّى إلقاء التحيّة عليها .

إنَّها تعيش في غير محافظة ، بعيد عن بيت عمّها أجمعين ، أخذ منها هاتفها النقّال ولا تملك إنترنت بالمنزل ، كل ما تملك الهاتف الأرضي ، حيث بإمكانها التحدّث عبره إلى عمّها وزوجة عمّها وأهلها في لبنان ، والبارحة تجرأت وإتصلت بسلام ، لقد إشتاقت لها وتفتقدها كثيراً....لم تقدر على الإفصاح لها عن معاناتها ، ولكنّها إكتفت بطمأنتها على أنّها بخير ، نعم ، أوَليست هي بخير ، بخير ، برفقة بعض الكتب التي جلبتها معها وكتاب القرآن ، برفقة رَبِّهَا الذّي تشعر بقربه ورعايته لها ، تبكي وتطلب عفوه وغفرانه على غلطة تدفع ثمنها أغلى من الغلاء .

تنهّدت بأسى تبتسم بعفوية وهي تشاهد بعض الاولاد، بشعرهم الاشقر الفاتح وبشرتهم الذهبية يلعبون ويتقافزون وعائلاتهم يراقبونهم بإستمتاع . هل سيأتي يوم ويكون لها أولاد من صلبها؟؟ ماذا سيكون مصيرها مع وسام اللذي أثبت وبجدارة على أن الانسان بإمكانه أن يكون رقيقاً وديعاً بلحظة وقاسٍ أقسى من الحجر باللحظة الثانية ، هل يقدر الانسان على أن يتحلّى بهذه التقلّبات الجذرية بهذه السهولة والبساطة. تنعدم إنسانيته وطيبته ليحل مكانها القسوة بأقسى درجاتها.

رنّ الهاتف فأسرعت اليه تجيب بصوتها الهادئ والصغير « الو »

« بكرا عنّا حفلة عيد ميلاد بنت خالتي ، جهزي حالك جاي آخذك على الساعة ٦ المسا » قال وأغلق الهاتف دون إنتظار الرد

حدّقت بالهاتف تحاول إستيعاب ما سمعته ، سيأخذها معه إلى حفل عيد ميلاد إبنة خالته الّتي لا تعرفها حتّى ، فهي تعلم بأن خالته شقيقة والدته متزوجة وتعيش بهذه المنطقة ولكنّها لم ترى أحد منهم منذ قدومها إلى هنا ، لم يكلّف أحد منهم خاطره بزيارتها لتهنئتها أو حتى السؤال عنها .

أحلام القادري

أغلق وسام الهاتف رامياً إيّاه إلى الكنبة بقربه ، شبك أصابعه بشعره آخذاً نفساً عميقاً، الأسبوع القادم سيذهب برحلة لزيارة والديه ، بعطلة عيد الفصح ، وبالطبع سيضطر لأخذها معه ولإدّعاء أَنَّهما زوجين سعيدين وحياتهما مليئة بالعسل الصافي .

وقف أمام النافذة الطويلة والعريضة وضع كفَّيه بجعبتيه يتأمل الطبيعة بالخارج بشرود تام .

لقد سافر إلى لبنان بنية الزواج وتكوين عائلة ، عائلة صغيرة سعيدة مع زوجة طيبة رقيقة ، تكون زوجةً صالحة وأم أطفاله ، ليُصدم بالواقع المرير ، زوجته الرخيصة التي يشعر بالاشمئزاز من مجرد عبورها بباله ، لقد كان مهووساً بها ، يحلم باللحظة التي ستجمعهما سوياً تحت سقف بيت واحد .

زفر بحيرة ، إنّه غير قادر على التخلّي عنها ، طردها من بيته وحياته ، وبذات الوقت غير قادر على تخطّي خيانتها وكذبها وخداعها . ماذا يفعل ، كيف يتصرف ؟؟؟

****

إرتدت فستاناً نيليّاً يصل لتحت ركبتيها بقليل مع صندلاً أبيضاً ، تركت شعرها الاسود الطويل منسدلاً على راحته بعفوية طبيعية ، ووضعت القليل القليل من التبرّج فقط كي تخفي شحوب وجهها والهالات السوداء الّتي تحيط بعينيها ، لقد أضحت قبيحة،هزيلة عيناها غارقاتان بمحجرهما، مع كل محاولاتها إلاّ أنّها لم تقدر على إخفاء قبحها ودمامتها ، جمالها كان كل ما تملك ، كانت تلفت الأنظار أينما ذهبت والجميع يتغنّى بجمالها بحرّيّة مطلقة ، وها هي حتّى جمالها خسرته .

تنهّدت بحزن تنتظر قدومه ،لقد جهّزت نفسها منذ ثلاث ساعات مضت ، شارفت على الثامنة وما زال لم يحضر .

إرتعش قلبها منتفضاً من بين أضلاعها لحظة سمعت حشرجة قادمة من وراء الباب ، وقفت مترقبة دخوله ، تتلفت حولها بحيرة ، لا تعرف ماذا تفعل أو كيف تتصرف ، إنها لم تره منذ أكثر من شهر مضى ، تشعر بقلبها سيتوقف قبل دخوله .

فتح الباب ودخل منه ، يحاول أن لا تضرب عينه عليها قبل كل شيئ ولكن محاولته باءت بالفشل لحظة وجدها تقف أمام وجهه بفستانها الأنيق وشعرها الفاتن وروحها المنطفئة ، حدّق بها بحنق ، غير قادر على نزع نظره عنها ، مع كل الّذي فعلته إلاّ

أحلام القادري

أنّها ما تزال تملك السلطة على قلبه ، قلبه الخائن الذي إرتعش لحظة رآها ، مرسلاً ذبذبات بكامل جسده ، نفض عنه شعوره ذاك ، متوغّلاً إلى الداخل ، مدّعياً عدم رؤيتها وبنبرة حازمة ثابتة طلب منها تغيير فستانها .

قبضت على كفّيها المرتعشتين ، محدّقة به ، تتأمّله يرتدي بنطالاً من القماش الاسود وقميص مخطط بخطوط رفيعة ، شعره مصفف بإتقان ، وينتعل حذاءً رسمياً أنيقاً .

عادت بإنتباهها إلى فستانها، تحاول إيجاد خطأ فيه ، إنّه الأكثر أناقة بخزانتها مناسب لحفل عيد ميلاد ، ماذا يريدها أن ترتدي « منه مناسب للحفلة ، هيدا أكثر فستان بملكه مناسب لحفلة عيد ميلاد.»

جلس على الاريكة يتأمّل محيطه ، لقد إستأجر لها هذا المكان الصغير قبيل عودته من لبنان ، يبدو مناسباً تماماً لها إذ إنَّها لا تستحق أكثر منه «روحي غيري الفستان ، البسي بنطلون جينز وكنزة عادية وإسبدرين ، شو وين مفكري حالك رايحة ؟؟»

ركن السيّارة ونزل كعادته قبّلها، لم ينتظر نزولها ، الموسيقى الصاخبة والأضواء المنيرة تملأ وتحيط بالمكان ، نزلت مسرعة

ورائه ، لا تريدهم أن يفتحوا الباب وهي ليست بقربه ، فتح الباب بعد قليل لتستلمه فتاة بعمرها تقريباً ، أخذته بالاحضان تتكلّم الانكليزية بسرعة رهيبة وبحماس شديد «وسام ، لقد أتيت أخيراً ، إشتقنا اليك كثيراً »

قبّل وجنتها مطلقاً سراحها متوغلاً إلى الداخل تاركاً إيّاها تقف عند الباب بخجل شديد، دخلت مغلقة الباب ورائها لتقف مصدومة ، مشدوهة الفاه ، بخنقة رهيبة تشعر بها تكتم على حنجرتها بعنف ، جالت بنظرها بين المدعوين ، بفساتينهم الفاخرة ، وثيابهم الّتي تضاهي الفستان الذي كانت ترتديه فخامة وأناقة ، بشعرهم المُتكلَّف وتبرّجهم الفاتن، إرتعشت أوصالها تشعر بالوهن الشديد ، هل هذا عقاب جديد ، يقدم على إحراجها وإهانتها علناً أمام عائلة والدته ، الفتاة الريفية القادمة من لبنان ، القبيحة والتي لا تملك أدنى ذوق في الأزياء .

توغّل بين المدعوين ، يحضن هذا ، يقبل وجنة هذه، يقهقه مع ذاك ، وهي بقيت عند الباب لدقائق معدودة ، تحاول إتخاذ قرار خطوتها التالية ، وعندما تأكدت بأن لا أحد منهم أعارها إنتباهه تسلّلت عائدة أدراجها نحو الخارج ، فتّشت عن سيّارته تتفقّد إذ كانت مفتوحة لتجدها مغلقة بإحكام ، تنهّدت بحسرة

كاتمة دموعها ، لا تريد أن تبكي هنا في الشارع وتبدو منكسرة ضعيفة ، إنَّها ليست ضعيفة ، إنَّها فقط قانعة بما لديها ولا تحلم بالمزيد، لقد أخطأت والمخطئ عليه أن ينال عقابه ، وهي أخطأت بحق وسام ، ولكنّها لم تتوقّع بأن تصل قسوته إلى هذه الحدود، أو أن يطول عقابه لها إلى هذا الحد ، لتكتشف أنّه عديم الانسانية والرحمة ، دم والدها يجري بعروقه بجدارة .

عادت إلى المنزل وجلست على الشرفة ، منزوية بالظلمة تنتظر إنتهاء هذه الليلة والعودة إلى منزلها ، مرقد أمانها بسلام .

خرج ودخل وخرج الكثيرين ، يشربون السجائر ، يضحكون ويتهامسون ، يناظرونها بإستنكار وكأنّها دخيلة ، دخيلة جالسة بزاوية مظلمة عند الشرفة ، حتّى خرج هو ، ضحكت بقهر ، ساعتين ، هل لاحظ غيابها قبل الآن ولم يكترث ، أم أنّه إنتبه للتو لذلك .

إقترب منها بخطوات واسعة غاضبة ، أمسكها من ساعدها بحنق جاذباً إيّاها لتقف « شو عم تعملي هان بالعتمة ، ليش قاعدة هان ؟؟؟»

أحمد القادري

وقفت برهفة تتلفت حولها تتأكد بأنّهما وحدهما، لا تريد أثارة إنتباه المدعوين اليهما وقبل أن تفتح فمها مبررة وجدته يجذبها من ساعدها داخلاً بها إلى الداخل .

«وسام بترجاك ، خليني إرجع على البيت ، أنا ما بقدر أدخل معك بثيابي هاو»

دفعها أمامه هامساً لها بنبرة ساخرة، أحرقت أعصابها المتبقية

«شو أنت جاي تعرضي مفاتنك هان ، جاي تفرجيهن على جمالك الآخاذ ، مفكرة حالك حلوي يعني »

مشت أمامه بإنكسار ، لا تريد إثارة جلبة إذ شعرت بعيون الجميع منصبّة عليها ، تراقبها من رأسها حتّى أخمص قدميها لتعلو الهمسات والضحكات ، إنهم بكل تأكيد يسخرون منها ومن لبسها، ليقف بها أمام مجموعة من الشباب والبنات قائلاً بالانكليزيّة « لقد كانت بالخارج ، إنَّها لا تحب الاجواء الصاخبة ، لهذا السبب إنَّها نادراً ما تخرج معي عندما نلتقي خارجاً »

ومأ لها الجميع بصمت يرمقونها بنظرات تفقدية محاولين إكتشاف السبب الّذي دفع ويسام بالزواج منها وإحضارها من لبنان ، لتلاحظ نظرات الاستنكار والاشمئزاز بعيونهم ومن ثم عاد كلُ منهم إلى حديثه مع زميله غير معبّرين وجودها وهو

أدار لها ظهره يتابع حديثه معهم متجاهلاً وجودها بقربه تحاول تمالك أعصابها وعدم الهرب من المكان برمّته .
تنهّدت بحزن تجول بنظرها حول المدعوين ، يتحادثون ويتسامرون ويضحكون ويمرحون ، يرتدون أفخر الثياب من أشهر الماركات العالمية من أحذية وكنزات وبنطلين وحقائب ، الاظافر المقلّمة والشعر المرتّب والمصفف ، شبكت أصابعها ببعضها تحاول تخفيف إرتعاشتهم ، تبحث بعينيها عن مكان تختبئ به ريثما تنتهي هذه الكارثة . وبخطوات بطيئة خجلة وجدت كرسي موضوع بزاوية الغرفة ، جلست عليها تنظر وقت الرحيل ، تراقب زوجها يضحك مقهقهاً لشيئ همست به إحدى الفتيات بأذنه باسطةً كفّها وسط ظهره مقتربةً منه حدّ الالتحام لتلتقي العيون ، عيناها وعيناه ، فهربت منه تراقب أحداً مرّ بجوارها مدّعية بِأَنَّها لم ترى شيئاً لتُفاجأ بأحد يقرب كرسيّه من كرسيّها جالساً بقربها
التفتت اليه ترمقه بتساؤل ليبتسم لها برفق قائلاً «أكيد مش ذاكرتيني ، أنا فادي صديق وسام ، كنت بحفل زواجكم بلبنان »

إبتسمت له إبتسامة عريضة تشعر بفرحة واهنة تتسلل إلى قلبها ، إنه شخص تعرفه ، حسنا ، لا تعرفه ، ولكنه يعرفها « أهلاً فادي ، كيفك ، عفواً أني ما تذكرتك »

هزّ برأسه يراقبها بتفحّص لتنكمش على نفسها خافية قدميها تحت الكرسي تمطّ بكنزتها القطنية الاقل من عادية تحاول الاختباء من نظراته تلك الّتي سبّبت إضطرابها وخجلها لتُفاجأ بسؤاله « أماني أنت مليحة ، في شي مضايقك، وسام ....»

ومن ثمّ سكت ، عاجز عن إكمال سؤاله ، هناك شيئ ما وكبير ، أيعقل أن يفعل وسام بها هذا ، إنها إبنة عمّه بحق ألسماء ، لحمه ودمه.

شرد بها يتأمّل ضوئها المنعدم بالكاد موجود ، على آخر رمق ، وجهها الشاحب وجسدها الهزيل وعيناها الغريقتان ، إنَّها بالتأكيد ليست نفس الفتاة الّتي كانت بلبنان ، ليست من تزوجها صديقه وأحضرها معه ، لقد جلبها وردة متفتحة بألوان زاهية ورائحة عطرة أثارت إشتهائه للعودة إلى لبنان وإنتقاء مثيلتها لنفسه، ليُفاجأ بها الآن زهر ذابلة بألوان باهتة وأوراق متساقطة وروح تئن .

إبتسمت له بوهن، مشيحة بنظرها عنه ترمق البلاط تحت قدميها قائلة «أنا مليحة ، بس ، ما كنت حابة إجي مع وسام

على الحفلة ، كنت تعبانة شوي من تغيير الطقس والجو بشكل عام بس هوي أصر عليّ قال بغير جو ، بدل ما أقعد بالبيت كل الوقت .»

هزّ برأسه عالماً متمنيّاً بأن تكون صادقة بقولها وليس شيئ آخر مناقض تماماً لينتبه لها تستقيم بجلستها ترقباً لوصول أحد قادم من خلفه ، التفت ليجد وسام ورائه ، وقف من مكانه مبرراً « شو ، تارك مرتك هان وحدها وداير على حل شعرك » ليثبت له شكّه بنظرته القارسة تلك الّتي رماها نحوها ليشعر بها تنكمش أكثر على نفسها قاطعة أنفاسها كليّاً .

«شو زهقتي ، بدّك تروحي على البيت »

وقفت من مكانها بإندفاع قائلة « نعم ، آه ، فيكي تودّيني على البيت ...لو سمحت »

ومأ برأسه مشيراً لها أن تتقدّمه عائداً بإنتباهه إلى فادي « بشوفك فادي »

وتبعها إلى الخارج .

لم تلبث أن وطأت قدمها باب الحديقة حتّى أمسك برسغها بعنف يقودها أمامه كالذبيحة نحو هلاكها ، تعثرت أمامه متفاجئة من قسوة لمسته ، إنّه حتّى الآن لم يقدم على تعنيفها

جسدياً ، مع أنّه تعدّى أقسى أنواع الظلم والقسوة على روحها ونفسها ، هل سيبدا الآن بجسدها ، إنقادت ورائه تحاول مجارات خطواته الواسعة والسريعة نحو السيّارة ، أنفاسها تتسارع وقلبها يتقافز ومعدتها تتقلّص حدّ الالم الرهيب مسبباً غثيانها ، فتح باب السيّارة ودفعها اليها دفعاً مغلقاً الباب ورائها بعنف .

قاد السيارة بسرعة هائلة ، ليوقفها عند كل إشارة بنتعةٍ عنيفة مسبّباً إرتدادها عن مقعدها .

إلى متى ستستمر بدفع ثمن غلطتها ؟ ألن يغفر لها ؟ الن يسامح ؟ ماذا ينتظر، لماذا أصر على إتمام حفلة زفافه منها بعد تلك الفضيحة ؟ لماذا لم يلغي كل شيئ ويعود إلى حياته وكأنها ما كانت ؟

لم تشعر الاّ ودموعها تنساب رغماً عنها ، تنساب بصمت لتمسحهم بعنف ، تؤنّب نفسها ، فهي لم تبكي منذ فترة طويلة ، لن تأتي وتبكي أمامه الآن .

«شو كان عم بيحكيكي فادي ؟؟ كيف بتسمحي لنفسك تقعدي أنت ويّاه بزاوية كأنكم عشّاق عم تتهامسو »

أحلام القادري

التفتت اليه عاقدة حاجبيها، مضيقة حدقتيها تشعر وكأنّ صاعقة أصابتها ، يتّهمها بالفجور ، كيف يجرؤ ، وهو الّذي كان مندسّاً بتلك الفتاة ضاربا كرامتها عرض الحائط .

« شو!!! شو قلت ؟؟»

« كيف بتسمحي لنفسك تهيني وجودي ، أنت وحدة مش محترمة بس أوعى تفكري بإنّي راح إسمحلك تلوثي إسمي ، أنا كان لازم تركتك تحت رحمة عمّي ، خليه كان ذبحك وريحني منك »

إستدارت اليه بجسدها تهتزُّ غضباً ، تشعر بأن بداخلها بركاناً ثائراً ينتظر إنفجاره « أنا ، عم تتهمني أنا بشي أنت إرتكبته وسام ، إنت الّي قللت من إيمتي وهنتني وما عملتلي إعتبار وخليتني مسخرة كل الموجودين بالحفلة ، صديقك إجا يسلم علي ، شافني قاعدة وحدي إجا يسألني إذا كنت بحاجة لشي»

قاطعها صارخاً لاكماً المقود بعنف « أوعى تفكري إنّه بعد بثق فيكي ، وحدي ساقطة مثلك ما بيتأمنلها ، أنت وحدة رخيصة سلّمت نفسها لشب غريب ، بتوقع منك أي شيئ بعد هذا الشيئ ، الّي بتبيع نفسها مرّة بتعيدها بسهولة »

أحمد القادري

إرتدت متفاجئة من مسار كلامه ، ماذا يقصد بأنّها سلّمت نفسها لرجل غريب ؟؟ هل يظن بأنّها أقامت علاقة مع مازن؟؟ هل يشك بشرفها وعفّتها؟؟

«أنت شاكك بعفتي؟؟!! شاكك بطهارتي ؟؟!!»

نخر ضاحكاً بسخرية موقفاً السيارة أمام منزلها الصغير المتواضع مولياً إيّاها كامل إهتمامه « شاكك فيكِ !! ليش أنت وعشيقك تركتوا مجال للشك ؟؟»

كتمت أنفاسها لبضع لحظات ، تحاول تمالك نفسها عن الثورة بوجهه كمجنونة فقدت عقلها كليّاً، تشعر بجسدها بأكمله يهتز مرتعشاً من شدّة الغضب .

« ما فشرت ، أنا أطهر وأشرف منك ، مش أنا الي بتفرط بشرفها بهذه الطريقة يا أستاذ، ما بنكر إني غلطت بإنّي أمّنت لشب وفكّرت إني حبيته، فكّرت إنّه خلاصي من بيت بابا وسلطته وجبروته ، بس بتعرف ، من بعد ما جربت ظلم وقسوة الغريب هانت علي قسوة وظلم بابا، وبرحّب فيها برحابة صدر ، بس بالنهاية كلكم مثل بعضكم ما بيهمكم الاّ العلاقات الجسدية ، الطهارة والعفة ، وبتتجرّدوا من إنسانيتكم بس تكتشفو إنّه الامور ما مشت حسب الخطة المطلوبة ، أنا ظهرت مع مازن بس بحياته ما لمس أكثر من إيدي إلّي كان يمسكها

غصب عّني وما خليه يتهنّا فيها كمان» أنهت حديثها غير قادرة على البقاء أمامه ، تحتاج لخلوتها ووحدتها ، لأمانها ، فتحت باب السيّارة مسرعة بخطاها نحو منزلها المظلم ، لتشعر بقشعريرة تسري بعروقها ، جسدها يرتعش برداً وحنقاً، تقلّب بمحفضتها برهقة، تفتش عن مفاتيح المنزل ليتعذر عليها إيجادهم .

شرد للحظات مسترجعاً كلامها، ماذا تخطط له هذه الساقطة ، أتريد إقناعه بأنّها لم تفرِّط بشرفها مع ذلك الرجل ، بأنّه كان يكذب وإتّهمها بعفّتها زوراً ، ولماذا لم تنكر إتهامه بوجهه ، لم تكذّبه لحظة إتهمّها بثقة تامّة ؟؟؟
نزل من السيّارة لاحقاً بها لتُفاجأ به ورائها ، التفتت اليه بذعر وتساؤل ، لترتعش كفّها عند المقبض ، أخذ المفتاح من يدها فاتحاً الباب فاسحاً لها المجال بالدخول ولحق بها ، أغلق الباب ورائه وتوغّل نحو الداخل .
جلس على الاريكة ذاتها التي جلس عليها قبل ذهابهم للحفل ، أشار لها بأنّ تجلس قبالته منتظراً .

تقدمت بخطواتها الصغيرة المترددة ، تتسائل عن السبب .
جلست تنتظر سؤاله الّذي طال بعض الشيئ إلى أن قال « ما صار علاقة جسدية بينك وبين هذاك الشب ؟؟؟»
هزّت برأسها متمتةً بلا
« وليش لمّا قال إنّه صار شي بيناتكم ما كذّبتيه »
« خفت بابا يسمعه ، يومها لو بابا سمعه كان قتلني وقتله من دون من يسمع تبريري »
« وليش ما خبّرتيني الي ؟؟»
رفعت بصرها المضطرب اليه ، ترمش بسرعة غير قادرة على إستيعاب كلامه «أنا ، أنا خبّرتك هانيك ، قلتلك إنّه عم يكذب ، إنّه مش صحيح إدعائه »
شرد بها يحاول تذكر ذلك اليوم بتفاصيله ، إنّه لا يذكر إنكارها الموضوع ، كل ما يذكره شحوب وجهها ورجائها أن لا يُذكر الموضوع أمام والدها وإنتهى عند هذا الحد .
وقف من مكانه يجول الغرفة الصغيرة بحيرة ، يحتاج لأن يضبط الامور ، أن يعيدها لنصابها ، لقد سئم من هذا الوضع ، والآن أمامه حلاّن ، إمّا أن يتأكد من كلامها ويستمر بحياته معها وإمَّا أن يتأكد بأنّها كاذبة وينفصل عنها نهائياً ، ولتفعل ما تفعل بحياتها .

****

إحتضنت الملاءة إلى صدرها تحاول التخفيف من إرتعاشة جسدها المنهار، تذرف دموعاً صامتة ، دموع المهانة، الكرامة والكبرياء ، دموع القسوة والظلم ، دموع علامة سخيفة عليها أن تثبت بواسطتها عفّتها دون الاكتراث لمشاعرها الّتي تتمزق تحت وطأة الاهانة الّتي تعرضت لها .

أحكمت أناملها حول الملاءة متمسكّة بها كأنّها طوق نجاة ، عاقدة أصابعها حولها بعنف ، تُحدّق بالفراغ أمامها ، بالجدار البني الغامق الذي تضاهي دكانتة دكانة روحها وأعماقها ، لقد خسرت معركتها مع الحياة لتتركها مهزومة صغيرة وخاوية . تحاول أن تفتش عن شعلة ضوء صغيرة بداخلها تتمسّك بها علّها تجد خلاصها بواسطتها .

خطأ دفعت ثمنه غالياً جداً من قبل وحوش ضارية همّها الوحيد أن تنهش بلحم ضحاياها بوحشية تامّة غير مكترثة لإزهاق روحها البريئة الّتي تستحق فرصة عادلة لطلب الرحمة ، لتؤمن وبكل جوارحها ووجدانها أن الرحمة لله وحده ، هو الوحيد الرحيم بعباده، ولن تنعم بها إلاّ منه .

وقف تحت المياه الساخنة يجلد نفسه بسيوطها الحارقة ، يحاول أن ينزع من ذاكرته نظراتها الفزعة وشحوب وجهها لحظة سألها البرهان ، حدّقت به لا تستوعب مقصده إلى أن ترسخت الفكرة بعقلها واقفة من مكانها تعطيه كامل الحريّة لما يريده ، سلّمته نفسها بكل سهولة وبرودة ، فاسحةً له المجال بصمتٍ رهيب ، وكأنّها إنفصلت بجسدها عن الواقع وغابت إلى عالمها الخاص .

حتّى أنها إستملكت الجرأة بالتحديق بعمق عينيه تتأمّل قسوتهما وطغيانهما ،لم ترمش أو تشح بنظرها عنّه ولو للحظة وكأنّها تريد أن تطبع صورته تلك بعقلها وروحها ، تتذكرها دائماً كي لا تنسى ، تنسى قسوته وجبروته ، وَيَا له من قاسٍ كان .

القى برأسه إلى الحائط البارد أمامه يلهث أنفاسه بصعوبة ، لقد توقف قبل فوات الاوان ، لم ينتظر رؤية العلامة ، لم ينتظر تمزيق روحها الّتي عرّاها بوحشية تامة ، لم يستطع إغتصاب روحها قبل جسدها تحت عرف الحقوق الشرعية، توقف قبل إفقادها عذريتها الّتي ما عاد يهتم أبداً بإثبات وجودها أو عدمها.

أحمد القادري

هزّ برأسه يدفعه من جديد عرض الجدار عاجز عن إحتمال الالم والغضب الّذي المَّ بجسده وأوصاله ، الغيرة العمياء جرّدته من إنسانيته ، حوَّلته إلى وحش ينهش بروح زوجته ، زوجته الرقيقة التي لطالما رأى النور يسطع من عينيها بوهن ، نوراً حزيناً خجولاً بإنتظار من يلهب شعلته ، ليأتي هو ويطفئه نهائياً بعدم رحمة .

خرج من الحمّام ليجدها ما تزال على الوضعية ذاتها التي تركها عليها ، إقترب منها بتأني خوفاً من أن يجفلها ليسمعها تخاطبه بثبات « إذا إنتهيت مني بتمنى إنك تروح على بيتك ، أنا بحاجة لأسترجع وحدتي وخلوتي »
جلس بقربها على السرير « أنا مش راح إتركك هان لوحدك ، بدّي ياك تجي معي »
« ما بدّي روح معك على محل ، لو سمحت روح »
تخاطبه وهي ما تزال محدّقة بالجدار أمامها ، لم يرف لها طرف ، تتكلم بطريقة آلية منعدمة الروح والمشاعر ، أقلقه حالها ، ماذا فعل ؟؟ ماذا فعل بها ليوصلها إلى هذه المرحلة ؟؟

«وسام ، إذا بعد في بقلبك ذَرَّة رحمة وإنسانية روح ، روح وإتركني بترجاك »

حاول لمس كتفها ليشعر بها تجفل من لمسته فإبتعد عنها ، وقف عند الباب قائلاً « راح روح وإرجع ، راح أعطيك شوية وقت وإرجع آخذك من هان ، ما بدّي ياك تبقي هان بهذه الحالة »

إلتفتت اليه هذه المرّة تخاطبه برجاء « هيدي الحالة إنت حطيتني فيها ، وأنا بأكدلك إذا رحت وتركتني بحالي كل شي بيرجع مثل ما كان ، بس روح ، فل »

عاد اليها، يراقبها على حافّة الانهيار ، بالكاد متماسكة ، لقد خيّب أمالها مؤكّداً لها أنّ دماء والدها تسري بعروقه بغزارة ، من هربت منه اليه لتجد نفسها خرجت من حفرة موقعة بنفسها في هوّة عميقة لا قرار لها.

« أماني ، أنا بعترف إني غلطت ، غلطت غلطة فضيعة لا تغتفر ، وما حسّيت على نفسي إلاّ من بعد ما غلطها وإنتهى الامر، بس صدقيني إنّي ملّيت من وضعنا هذا وكان بدّي بس إنتهي منه ونرجع متل ما كنّا ، نبدأ من جديد ، إثنيناتنا غلطنا ودفعنا ثمن أخطائنا ، وبالوقت خلينا نقلب صفحة جديدة ونبدأ من أوّلها .»

«نبدأ من جديد؟؟!! شو الّي إتغير وخلاّك تغير رأيك ، كنت شاكك بعفتي ، وأنا فسحتلّك المجال تتأكد ، شو الّي خلاّك تتراجع » أجابته بصوت متهدّج ، كاتمة دموعها ، لا تريد أن تبكي ، ليس أمامه .

« أنا صدّقتك ، منّي بحاجة لبرهان منك حتّى تثبتي مصداقيتك »

« وشو بدّو يصير إسّا ، بدّك ياني إنسى الشهر الماضي والمعاناة وكل الّي مرّيت فيه وإدّعي إنّه حياتي كاملة وسعيدة ، وإنَّك أروع وأحن رجل بالعالم» أجابته ساخرة ، متمسّكةً بالملاءة بأصابعها بعنف ، جسدها يرتعش بعنف ، إجتاحته الرغبة الملّحة بأخذها بين أحضانه وتهدئتها ولكنه كابر على نفسه ليبقى صامداً مكانه مجيباً برجاء :

« لو سمحتي ما تصعبي وتعقدي الامور أكثر منها معقّدة ، أنا حاسس فيك ، حاسس بفضاعة الّي عملته ، بوعدك إنّه كل شي راح يتغير ، ما تنسي إنّي رغم كل شي ما تخلّيت عنك ، ما قدرت إتركك تحت رحمة والدك رغم إنّك سكتّي ، سكتّي على إتهام هذاك الحقير الك وخلّيتيني شك فيكي»

صرخت به عاجزة عن إحتمال المزيد « ما كنت مفكرة إنّك شاكك بعفتي ، كل الامر إنّي كنت مفكرة إنّك متضايق منّي

أحلام القادري

إنّي ما خبّرتك عنه ، عن ماضيّ معه ، وإنَّك تضايقت وحسيت بالخيانة على الطريقة الفضيعة الّي علِمتْ فيها بالموضوع ، كنت خجلاني من نفسي ، حاسّة بغلطتي ومش متجرأة أطلب منك الغفران والسماح .»

لكم الحائط الخشبي بقبضته بعنف مسبباً إحداث فجوة كبيرة وسطه ، أخذ نفساً عميقاً شابكاً أصابعه بشعره بعنف ، أخذ يتنفّس ، شهيقاً زفيراً ، شهيقاً زفيراً ، عاد بإنتباهه إليها ، إقترب منها واقفاً قبالتها،« أنا بستحق منك أي عقاب ، إنت قولي بس »

« طلاع برات بيتي »

إرتدّ مصعوقاً من طلبها الواثق ، قالتها بثقة غير عابئة لتبعاتها، تعيدها على مسامعه من جديد « إتفضّل برّات بيتي »

****

دخل منزله الفارغ ، تلّفت حوله بحيرة ، يفكر بِالَّذِي حصل وَالَّذِي أقدم على فعله ، الظلم الّذي ألحقه بأماني ، إبنة عمّه،الّتي وعدها ووعد نفسه بأن يخلّصها من قسوة وظلم

والدها ليأتي ويثبت أنّه ليس بأفضل منه بشيئ ، بل عزم على تحطيم أمالها بقبضته دون تردد، دهس عليها بأسفل حذائه غير مكترث لكينونتها وإنسانيتها وحقوقها كبشر تحت إسم الكرامة والكبرياء.

وبماذا هو أفضل منها كي يأتي ويعاقبها على شيئ هو بنفسه غارق به حدّ الهلاك ، كي يثور على وهم ، وهم زُرع بعقولهم منذ الصغر ، أن الفتاة عورة والرجل يحق له ما لا يحق لغيره من جنس الانثى ، ولماذا ؟؟ لماذا لا يكون هناك معايير يقاس عليها الطرفين ، الجنسين ، ما لا يحق لها لا يحق له وكفى ، وما عليها أن تحمله من عار حتّى الممات عليه أن يحمل مثيله حتّى الممات ، العار عار ، إن كان عليك أو عليها ، الخطيئة خطيئة إن كانت منك أو منها والزنى زنى على الطرفين .

جال بنظره حول غرفة الجلوس الواسعة والمفتوحة على مطبخ عصري وغرفة طعام ، يتوسطها موقدة ضخمة تزيد من عراقة وفخامة غرفة الجلوس،لقد إشترى هذا المنزل قبل سفره إلى لبنان حيث كان عاكفاً عن فكرة الزواج لكنّه رغم ذلك سافر ملبِّياً رجاء والديه بأن يذهب ويجرّب حظّه علّه يجد نصيبه مع

أنّه كان ضدّ فكرة الزواج بهذه الطريقة ، أي أن يذهب بنية إيجاد عروس ، لأنّه يعتبر بأن الزواج مؤسّسة مشتركة تُبنى على أسس متينة مع إنسانة يحبّها ويعرفها ويمر معها بمراحل التعارف كلّها قبل العزم على الزواج منها، وإذ بها تسلب لبّه على غير غرّة ليجد نفسه مشدوهاً بأماني ، يفكر بها وبكل ما تحتويه،يشعر بالرغبة الملّحة أن يبقى بقربها وحولها يحتويها وينقذها من جحيم والدها ، ليأتي بنفسه ويغرقها بجحيمه الخاص .

****

كيف يمكنك أن تنظر من خلال عينيَّ كأنّهما باباً مفتوحاً يقودان إلى جوهري الّذي أصبح خذراً فاقداً للحس؟؟ من دون كيان ؛ فروحي تنام في مكان ما بارد تنتظر قدومك لإعادتها إلى مضجعها.
أيقظني أرجوك ، أيقظ روحي ، أحتاج اليك . أنقذني .
ناديني بإسمي وأيقظني من الظلمات ، إدفع دمي بعروقي قبل أن يأتي أواني.

أنقذني من الاّشيئ الذي أضحيته ، إدفع أنفاسك بداخلي وأعد إنعاشي ، أيقظني أرجوك

****

الفصل السادس والاخير

أغلقت أماني كتاب علم النفس اللّذي جلبته معها من لبنان ، وضعته على الطاولة الصغيرة قربها، وتوجّهت إلى المطبخ الصغير تحاول إيجاد فكرة لطبخة جديدة تصنعها اليوم ، فهي منذ قدومها إلى هنا لم تذهب إلى المتجر لشراء أغراضها إذ دائماً يجلب لها وسام ما يجده مناسباً ، أو بالأحرى ما يجده أمامه من خضار وفاكهة ، وهي عليها أن تتدبر أمورها بالموجود ، في بعض الأحيان تجد نفسها بحاجة لشيئ إضافي تحاول إستبداله بالموجود أو الاستغناء عنه ، أو تبديل الطبخة نهائياً من أجله .

فتحت الخزانة تتفقد محتوياتها، علّها تلهمها إلى فكرة ما، تشتهي وتشتاق طعام والدتها الحبيبة ، لكم تحن لتلك الايام وذلك الجحيم الّذي كانت تعيش فيه يبقى عليها أرحم من هذه الغربة والوحدة الّتي تعيشها.

نصتت تسمع حشرشة قادمة وراء الباب ، أغلقت الخزانة متوجّهة نحوه تتساءل ، لم يحن بعد موعد جلب الاغراض لها ، هل نسي شيئ ما هنا ؟؟؟

فتح الباب ودخل منه ليجدها أمامه على وشك فتحه ، تراجعت برهقة لحظة رأته ، وهو وقف مشدوهاً ، يتأمّل تفاصيلها الصغيرة ، جسدها الهزيل الّذي فقد الكثير من الوزن ، شورتها الصغير الذي بالكاد يغطّي فخذيها ، وكنزتها القطنية البيضاء بحمّلات رفيعة .

إحتضنت نفسها بعفوية ، تفكر بالهرب من أمامه لتتراجع واقفة بأرضها تسأله بصوت مرتعش « في شي ، بدّك شي ؟؟؟»

أغلق الباب ورائه ودخل محمّلاً بأكياس ورقية تفوح منها رائحة شهية ، أصدرت معدتها صوتاً مزعجاً مخجلاً وواضحاً معلناً جوعها ، إنَّها منذ أكثر من شهر لم تتذوق وجبة شهية قابلة للأكل إذ إنَّها طبّاخة فاشلة ولكنّ الجوع يجبرها على أكل ما تطهيه دون تذمر .

نزلت بنظرها إلى مستوى الاكياس تتراجع فاسحة له المجال وهو دخل قائلاً «جبت أكل صيني حتّى ناكل سوا ، ما حبيت أكل وحدي »

رفعت حاجبها ترمقه بإستنكار« إلك أكثر من شهر عم تاكل وحدك ، شو عدا ما بدا »

وضع الاكياس على الطاولة الصغيرة بالمطبخ مباشراً بإفراغ محتوياتها«الّي تغيِّر إنّي بدنا نفتح صفحة جديدة ، بدّي تعطيني فرصة نصلّح الي مضى ونبدأ من جديد »

جلست إلى الكرسي تراقبه يجول بمطبخها بحرّيّة ، يرتدي جينزاً داكناً وكنزة بيضاء وسترة جلدية سوداء ، تضاهي سواد شعره ، إنتهى من إحضار ما يريد ، خالعاً سترته يعلّقها إلى ظهر الكرسي وجلس قبالتها، يناظرها بإبتسامة شفّافة ، تلك الابتسامة التّي كانت تشعر بالامان بتواجدها ، تشعر بالدفئ بين طيّاتها، ولكنّها الآن لا تشعر بحضوره الاّ بالبرودة القارسة تجتاح جسدها حدّ النخاع ، إحتضنت نفسها مغادرة المطبخ ناشدة إرتداء شيئ تستر فيه جسدها علّه يبث الدفئ فيه .

أغلقت باب الغرفة ورائها بالمفتاح وجلست على السرير جسدها ينتفض بعنف لتشعر بأسنانها تصك ببعضها البعض ، حاولت تنظيم أنفاسها المتسارعة علّها تهدّئ من روع جسدها لتسمع طرقاته الطفيفة على الباب « أماني، تعي نأكل بسرعة ، إسّا بيبرد الاكل وما بيعود طعمه طيب »

«أنا ، أنا مش جوعانة ، حاسّة حالي نعساني، بدّي نام شوي ، بليز ، بس تخلص روح ، ما تنتظرني حتّى أوعى من النوم » أجابته ترجو رَبِّهَا أن يذهب ، وجوده يرهقها ، فاليرحل

أحمد القادري

ويتركها بحالها ، يتركها بسلام ، يتركها لوحدتها وصمتها وسكونها.

ولكن يبدو أنّه لا يريد الذهاب إذ طرق الباب من جديد يرجوها« أماني بليز ، أعطيني فرصة صلّح اللّغط الّي صار بيناتنا ، الاسبوع القادم بدنا نروح لعند أهلي وما بدي نروح ونحن مش قادرين نتحمّل بعض ، أنا عم أطلب السماح منك أسف بجد،بعرفك قلبك طيب وما راح تحقدي علي للأبد »

«روح بترجاك ، روح وأتركني »

«شو قصدك روح وإتركك ، بدك ننفصل ، نطلّق ، ها البدِّك ياه »

كلماته أثارت ذعرها ، يطلّقها ، تعود لوالدها ، سيقتلها ويقتل والدتها لا محال ، لا ، لا تريده أن يطلّقها ، أسرعت الى الباب فاتحة إيّاه برهقة لتجده أمامها ، تراجعت بضع خطوات مشيحة بنظرها خجلةً من هجومها المفاجئ للباب لتسمع صوته الدافئ يقول :

«أنا راح أعطيك الوقت الّي بدّك ياه ، بالوقت الحاضر راح كون إبن عمّك ، وسام الّي إنت جاي تقضّي العطلة الصيفية عنده ، راح نظهر ونروح نتعرف على كندا ومعالمها ونقضّي وقت جميل وحلو ، وإذا بنهاية هاي الصيفية لقيتي نفسك إنّك

أحمد القادري

بعدك بتكرهيني وما بدّك زواجنا يستمر عندها بنشوف شو بنعمل حتّى خليك تحبيني غصب عنّك ، لأنّه بكل تأكيد ما راح إفسحلك مجال لخيار ثاني .»

حاولت أن تبتسم مانحةً إيّاه إبتسامة ضعيفة باهتة لتشعر به يقودها نحو المطبخ مجلساً إيّاها إلى الطاولة لتجتاح رائحة الطعام حواسها مسببةً شعورها بالجوع الشديد ، قدّم لها ملعقة عازماً عليها أخذتها منه تنقب بطعامها ببطئ شديد ، تحاول أن لا تفكر ، تأكل وتنسى الأسى الّذي عانت منه بفعل يديه الاثنتين ، هل ستقدر على مسامحته ، نسيان ما فعله بها ، نسيان أنّها رأت وجهه الثاني ، وجهه الآخر المخيف القادر على القسوة ورميها وراء ظهره كأنّها لم تكن ؟؟؟ أم أنّه كان مجرد رجل مقهور ، مجروح ومغدور ، يئن الامه ويقاوم غرقه ، يتمسّك بالقسوة بدل أن يظهر على حقيقته ، تلك الحقيقة المخيفة التي يخاف منها الرجال ، عندما يتملّكهم الضعف من أجل إمرأة ، يشعروا بالانكسار والغرق بفعل إمرأة ، نعم ، عندها الرجل يخسر نفسه دون رجعة فيفضّل أن يظهر بصفة القاسي وعديم الرحمة على أن يظهر بصفة المهزوم والمجروح والمكسور .

إنهيا طعامهما ليبدأ بترتيب الطاولة بنفسه وهي بقيت مكانها تراقبه بشرود ، إنتهى عائداً بإنتباهه إليها«شو رأيك تبدلي ثيابك ونطلع شوي ، الطقس حلو اليوم ، بنروح على بانف ، منطقة كثير جميلة ورايقة ، بتحسّي بالسكينة هانيك ، وبتغيري جو»

وقفت من مكانها، تحتضن نفسها بخجل وكأنّها إكتشفت للتو أنّها لا ترتدي الكثير من الثياب « ما في داعي نروح على مكان ، بجد ، أنا مرتاحة هان ، بس راح روح غيّر ثيابي » لحق بها « أماني ، أنا عندي بكرا والي بعده عطلة وحابب آخذك على بانف ، لذا جهزي شنطة صغيرة وخلّينا نروح ، بليز ، بوعدك ما بتندمي »

إستدارت اليه لتجده بوجهها، تراجعت بضع خطوات محدّقة بعمق عينيه ، تشعر بدفئهما لتنسى ماذا كانت تريد قوله ، صمتت تحاول التذكر ، ليبتسم لها دافعاً إيّاها إلى الغرفة« أنا الي بقرر هان ، بلبنان إنت كنت تقولي إسم المنطقة وأنا كنت إنطلق فيك إليها ، والآن أنا أقرر وأنا أنطلق ، إتفضّلي ، على السريع »

« بس بجد مش حاسة برغبة للطلعة ، بس بدي إقعد بالبيت »

« الك شهر قاعدة بالبيت ، بكرا بتجي الشتوية وبتقعدي بالبيت عطول »
زفرت بملل ، فاتحة خزانتها تبعثر فيها لتُفاجأ به خلفها ، يقلّب بالثياب ويختار عنها ما يلزمها ، إبتعدت عن طريقه مكتّفة ذراعيها تتأمّله بحيرة ، وكأنّ هذا الرجل أمامها ليس بالرجل الذي كان طوال فترة الشهر المنصرم ، أيعقل أن يستطيع الانسان أن يتغير هكذا وبكل بساطة وسهولة . وهي ، لِمَ تشعر بأنّها لا تستطيع كره هذا الرجل أمامها؟؟ وكأنّه كان غائب وعاد، إشتاقت اليه .

****

طوال الطريق وهي متّكئة إلى النافذة محدّقة عبرها إلى معالم الطبيعة ، السهول الخضراء المصطّحة الشاسعة والواسعة على مدّ النظر ، البحيرات المتعددة الاحجام الممتدة على طول الطريق ، إلى أن وصلوا إلى بداية طريق بانف لتبدأ الأشجار والغابات والهضاب بالبروز والظهور، كلّها خضراء ، خضرتها تسرّ الروح والقلب ، جمال ، وكأنّها جنّة على الارض ، حتّى الجبال شكلها غريب ، مُلفت وجميل .

وهو إكتفى بالقيادة بصمت مع خلفية موسيقى كلاسيكية هادئة ، ملقياً اليها نظرة خاطفة بين الحين والآخر، يحاول إستشعار ماهية مشاعرها فعجز عن تحديدها ، هل هي سعيدة ، حزينة ، أم حتّى هي نفسها لا تعرف ماهية مشاعرها؟؟؟

قضيا نهاراً جميلاً ، يسيران بين المحلاّت التجارية والمطاعم ، الطقس وديع والمناظر خلاّبة ، وإشترى لها الكثير من الاشياء والذكريات حتى بقيت تهرب الناحية الثانية إذ مَرُّوا من أمام محلّ ما خوفاً منه أن يدخلها عنوة اليه ويجبرها على إختيار شيئ ، أي شيئ ، المهم أن لا تخرج منه فارغة اليدين .

وصلا إلى الفندق الّذي تم حجزه قبل خروجهما من المنزل «فيرمونت أوتيل» ، نزلت من السيّارة واقفة أمامه تراقبه مشدوهة الفاه ، تتأمّل الروعة والجمال ، وكأنّها في عالم الخيال ، الفندق كأنّه قصر ملكي ، بحجمه الضخم والكبير ، كأنهّا تقف داخل فيلم هاري بوتر ، المبني العريض الممتد من مساحات شاسعة ، محاط بالاشجار الكثيفة وخلفه نهرٌ جاري يتدفّق من وادي جبلي .

أمسك بكفِّها قائداً إيّاها إلى الداخل ، لتقف مقطوعة الانفاس تتأمّله بتقدير وإعجاب ، وهو إستغل الوضع مندساً بها يحاول إحتوائها، وإمتصاص بعضاً من براءتها وعفويّتها ، يشعر بالذنب على ما فعله بها ، على قسوته والاّمبالاة الّتي تسلّح بها كي يقدر على الاستمرار بهذا الزواج من دون الأقدام على إهانتها بالكلام . ولكنّه رغم ذلك أقدم على تدمير ذاتها وكبريائها فهدّ حيلها بتجاهل وجودها وإهمال حاجاتها ، وآه ، ما أقساه من عقاب كان .

دخل بها الغرفة لتتوغّل اليها مسرعة نحو الشرفة الخلفية للفندق ، حيث تطل إلى الشلاّل الدافق والنهر الجاري ، إتّكأت إلى المسند تراقب مغيب الشمس وراء الهضاب بتنهيدة حالمة حزينة ، وقف ورائها وبتردد وهدوء كي لا يثير ذعرها ، أحاط خصرها بذراعه ليشعر بجسدها يتصلّب للحظات ليعود ويستكين تحت قبضته ، التفتت اليه بإبتسامة شفّافة « هذا خيال ، بل أكثر من خيال ، الطبيعة هان بجد تبعث السكينة بالنفس والروح ، بتخلّيك تحس وكأنّك عم تنصهر معها حتّى تصيرو واحد ، كأنّها عم تخاطبك بخضرتها ونقائها وهدوئها والأروع من كل هذا مغيب الشمس على الساعة العاشرة مساءً

، حتّى الشمس ما بدها تروح ، بدها تبقى هان حتّى تمدنا بنورها ودفئها وروعتها »

هي تتكلّم وهو يتأمل فمها يتحرّك غير قادر على ضبط نفسه أكثر فأمسك بفكّها برفق ، يتلمّس بشرتها الناعمة بإبهامه وسبّابته ، يتأمّل معالمها الجذّابة،ضّيق عيناه وكأنّه عاجز عن إحتمال نورها، وهي صمتت محدّقة به بخجل ، تحاول فهم خطوته، إقترب منها بتأنّي ، فإنحبست أنفاسها برئتيها مسبّبةً تقافز قلبها يصارع التحرر من مضجعه ، لترتعش روحها داخل جسدها ، إحساس جميل ومرهق ومؤلم بآن معاً، أغمضت عيناها عاجزة عن إحتمال المزيد مشيحة بوجهها عن دربه مانعةً إيّاه عن تقبيلها، إبتعدت عنّه مسرعة نحو الداخل ، متمتمةً، « فيك تعرف وين القِبلة ، بدّي صَلَّيْ المغرب»

لحق بها يبتسم لها برفق ، يراقبها تحاول الهرب، تتلفّت حولها تحاول إيجاد مكان تلجأ اليه بعيداً عن عيونه «أماني !!»

ناداها لتلتف اليه منتظرةً ما سيقوله «أنا بعدني على وعدي إنّه راح أعطيك فرصة تفكري بعلاقتنا، وزواجنا معلّق مع وقف التنفيذ إلى حين إنتهاء فترة الصيف، ما تخافي ، ما راح إتراجع عن كلامي ، وما راح قرّب منك الاّ لمّا إنت تتأكدي من حقيقة مشاعرك وإنَّك بدك هذا الشي مثلي »

ومأت برأسها مشتعلةً خجلاً، لوهلة شعرت بالرغبة للإستسلام للمسته والسماح له بتقبيلها ، ولكنّ عقلها رفض إستسلام جسدها لمشاعرها ، فهي مازالت مجروحة منه ومن قسوته وما فعله بها بالفترة الماضية، إنّه محق، فالتأخذ المسألة وقتها، بحيث تصفى القلوب وتحنّ الأرواح ، وتُغلق الأبواب على الماضي نهائياً دون عودة .

وقفت أمام سجّادة الصلاة هامّة للبدئ بالصلاة لتسمع صوته قادم من ورائها « إنتظريني شوي ، أنا جاهز لصلّي معك ، خلينا نصلّي جماعة »
إلتفتت ورائها تراقبه يجفف قدميه من ماء الوضوء وقطرات الماء تتساقط من خصلات شعره الاسود ، إبتسمت بخجل تسأله« أنت بتصلّي ؟؟!!»
وقف قربها على يمينها قائلاً بشيئ من الخجل « بصراحة ، كنت صَلّي أيام الجمعة بالجامع ، والأعياد، وحاولت ببعض الفترات وأنا بسن المراهقة إنّي واظب على الصلاة وكنت عطول إقطع ، إرجع واظب لإقطع من جديد »
«وبالوقت ناوي تواظب ولاّ بس مؤقتاً » سألته بتحدّي لتسمع ضحكته الطفيفة قائلاً

« شو رأيك ، إنّي راح أوعدك وأوعد ربّي إنّه من هذا الفرض وطالع ما راح إقطع وقت صلاة مهما كان السبب»
إتّسعت إبتسامتها تشعر بإنتفاض شعيرات جسدها مسببةً إرتعاشته الطفيفة ، تراقب نظرته الواعدة تلك ، إنّه يعدها بأنّ يواظب على الصلاة ، ومأت برأسها بخجل ليردف « إعتبريها أوَّل خطوة تجمعنا في رضى الله ، والفضل كلّه بيعود الك بهذا الشيئ »

على متن الباخرة

ترك مازن التّراس متوجهاً نحو حجرته نزل السلالم المكسوة بسجاد أحمر ناعم كالحرير، يمتصّ صوت وقع أقدامه كأنّه يمشي تحت الماء ليصدر الصوت مكتوماً غميقاً، لم يلبث أن وطأة قدمه عتبة الردهة المضاءة بمشاعل كهربائية عصرية ، حتى وجد مايا بدربه ، وقفت بوجهه مانعةً تقدّمه مطالبةً بإنتباهه ، وهو رمقها ببرودة وملل ، لقد سأم هذا النوع من الفتياة ، النوع الرخيص الّذي يركض وراء أهوائه وغرائزه دون إكتراث للعواقب ، نعم ، لا بدّ أنكم تتساؤلون هل نحن نتحدّث

عن مازن هنا ، مازن زير النساء ، الّذي كان يستغل وسامته وأناقته وجاذبيته في إصطيادهنّ إلى أن وجد إمرأة إصطادت روحه ، قبضت عليها وأسرتها رافضةً إطلاق سراحها .
نعم ، الآن أضحى هذا النوع من النساء يثير إشمئزازه ، يثير قرفه ، فمن يرقى لتذوق الشهد النادر الوجود ، الّذي يُستخلص من أندر أنواع النحل والأزهار ، سيعجز عن إستبداله بالنوع الرخيص المتداول بين أيدي الجميع ، وبالنسبة اليه ، أماني علّمته أن النساء نوعين ، نوع أنت تسعى ورائه لاهثاً كي تحصل على مرادك بأغلى الاثمان يطبع وشمه بروحك ويسكن هناك ، ونوع يأتي اليك طوعاً بأرخص الأسعار يأتي ويذهب كأنّه ما كان ، لا يترك أثره بأي مكان .
رفع حاجبه يرمقها بمكر قائلاً « مايا! ما هيك؟؟ »
إبتسمت إبتسامة واسعة تومئ برأسها مؤكدة « نعم ، حفظت إسمي دغري »
فكرّ بنفسه ، لا تنغرّي يا عزيزتي « أوك ست مايا ، أنا إنسان قرفان النسوان بالوقت الحالي ، قربك منّي بهي الطريقة عم بتكهربني ، وما تفهميني غلط ، عم بتكهربني بطريقة سيئة ، وليس العكس ، لذا ، إتقي شرّي وإبعدي عن طريقي أحسنلك »

حدّقت به مشدوهة الفاه ، متفاجئة من صراحته الضارية ، هل حقاً تجرّأ وتحدّث اليها بتلك الطريقة المشينة ، إزدردت بلعابها الكثيف ، تشعر بالاختناق ، بالخجل من نفسها ، إبتعدت عن طريقه فاسحة له المجال لأن يعبر الردهة تتأمّل قفاه يبتعد ، تفكر بقسوة تلك المرأة التي قلبت كيانه وجعلته على ما هو عليه ، أخذت نفساً عميقاً تتنشق رائحة البحر والمياه المالحة والرطوبة ، تعبق برئتيها ، ومن ثمّ تابعت طريقها نحو الترّاس سعياً لتأمّل غياب الشمس وراء البحر .

دخل مازن حجرته مقفلاً الباب ورائه ، مسرعاً نحو دواء الاعصاب الّذي وصفته له طبيبته المعالجة النفسية بعد صدمة العمر، لقد دمَّرته أماني ، وأكثر ما دمّره هو ما فعله بها يوم زفافها ، يشعر بالعجز على تخطي خطيئته تلك ، بحيث تسبب لها بمصيبة لن يسامح نفسه عليها أبداً ، آه ، ما أهون أن تكون أنت المظلوم ، ولكن أن تكون الظالم والمظلوم في آن معاً ، هنا تكمن المعضلة الّتي لا حلّ لها ، ويلك أن تشعر بالاسى والهوان على نفسك ، وبالذّنب العظيم على ما إقترفته بحق إنسانة بمثابة قطعة من روحك .

****

أحمد القادري

بعد أسبوع

إنتقلت للعيش بمنزله منذ عدّة أيّام الّذي ما ينفك يصرُّ عليها بأنّه منزلها قبل أن يكون منزله ، أجبرها على إختيار أثاث غرفة النوم الرئيسيّة وسمح لها بإقتراضها مؤقتاً حتّى يحين موعد مشاركتها فيها ، لقد تغير كثيراً ، عاد ذلك الرجل الدافئ والحنون ، الطيب الّذي تشعر بالامان بقربه، يذهب صباحاً إلى العمل ويعود مساءً ليخرج بها إلى أفخر المطاعم بالمنطقة لتذوق أغرب الأطعمة الأجنبية من مختلف الحضارات ، ليعود اللون الوردي مجتاحاً بشرتها الباهتة والوزن ينمو بين ثنايا عظامها.

مايزال على وعده ، يودّعها عند باب غرفتها بقبلة لطيفة ويغلق باب غرفتها عليها متوجّهاً إلى غرفته يعيش صراعه الذاتي مع نفسه بين أن يفي بوعده بإنتظار الوقت المناسب أو يذهب إلى غرفتها ويغريها برجولته .

ليزفر أنفاسه بحنق معاتباً نفسه ، وهل ستستسلم بأسبوع أيّها الاحمق ، على الاقل أعطيها بضعة أسابيع ومن ثمّ بادر بحركتك .

إبتسم لنفسه بخبث موافقاً مع نفسه .

إنَّها ليلتهما الاولى بمنزل العائلة ، لقد سافرا لزيارة بيت عمّها بعطلة عيد الفصح لتُفاجأ بأنّهما سيتشاركان غرفة واحدة وسرير واحد ، حسناً ، بنظر الجميع إنّهما عرسان حديثي العهد وما يزالان بشهر عسلهما .

إستلقت على السرير مستكينة تحاول أن لا تثير الجلبة تستمع للحشرجة القادمة من ناحيته ، يتحرك ويتململ ثم يزفر أنفاساً طويلة ليعود ويتململ مغيّراً موضع نومته وهي كابتةً على نفسها تشعر بالحاجة الملّحة للصراخ به كي يتوقف وإذ به يقطع المسافة الفاصلة بينهما مندسّاً بها.

وهي كتمت أنفاسها تنتظر ما لديه وإذ به ومن دون مقدمات يأخذها بين أحضانه معلّقاً بصوت هادئ يشبه الهمس وكأنّه خائف من أن يصل صوته لأحد غيرها .

«بس حابب نام حدّك ، بوعدك إنّه مش راح إتمادى ، مش قادر نام وأنا عارف إنّك على قرب بعض خطوات مني »

«وسام،إنت سامحتني على الّي عملته معك ، إنّي قبلت إتزوجك دون ما خبرك عن مازن ؟؟»

شعرت بجسده يتصلب بقربها وكأنّه لم يتوقع سؤالها ليلين بعد لحظات سائلاً«ليش تركتيه وتزوجتيني أماني ؟؟؟»

سكتت تفكر بطريقة لائقة للإجابة عن سؤاله لتخرج تنهيدة طويلة من جوفها قائلة بحزن « تعرفت عليه من فترة حوالي التسع أشهر تقرّب مني وطلب يتعرف علي وأنا بصراحة قبلت دغري لأنّه عجبني وفكرت إنّه إذا كان هو الانسان المناسب فبرتاح هيك من طغيان بابا، بس ....بعد فترة بدأ يتهرّب مني حتّى بالآخر بدأ يتحجج بإنّه فقير ومش قدرته يتزوج ويفتح بيت ثاني خاصّة إنّه والده متوفي وعم يصرف على والدته وخواته الثنتين »

«أنا مش عم إفهم ، كيف عم بتقولي يتهرب منّك وكان مبين إنّه قاتل حاله عليك يوم عرسنا»

«لأنّه.....» إستقامت بجسدها متّكئة على حافّة أعلى السرير تفرك كفّيها بتوتر ، لا تعرف كيف تخبره ولكنّها عزمت على قولها مهما كانت ، إذ كانت ستعطي نفسها فرصة معه لتبدأ من جديد عليها أن تتأكّد بأنّهما على ذات الصفحة.

إتكأ وسام على جذعه الأيمن ينتظر تبريرها ، يراقب توترها وكأنها خائفة من وطأة ما ستقوله عليه مما أثار ذعره متسائلاً ،إذ بها تريحه من معاناته مردفةً :

«مازن تقرّب منّي كان مفكر إنّه راح يقدر يستغلني ويعمل علاقة جسدية معي ، وبعد عدّة محاولات باءت بالفشل قرر إنّه يتركني ليرجع يغير رأيّه ويقرر إنّه بده يرتبط فِيّ ، بس أنا بهذاك الوقت كنت عرفت نيته إتجاهي وقطعت عليه كل السبل ليوصلي ، ومن بعدها بفترة كثير قليلة إنت دخلت على الخط وطلبت تتزوجني ، بصراحة ، بصراحة لو إنت جيت لعندي وطلبت تتزوجني كنت رفضت وإنتهت القصّة ، بس إنت طلبتني من بابا وحطيتني قدام الامر الواقع ، وخفت ، وكنت ضايعة ومشوشة مش قادرة فكر بموضوعية »

إستمع الى كلامها بصمت ، يفكر بذلك الحقير ، كان يجب عليه أن يضربه ويفك حنكه ويخرجه من منزل عمّه محمّل إلى المستشفى مباشرة ، كيف يجرؤ على التقرب من إبنة عمّه بنية دنيئة ليصل به الامر ويسيئ لسمعتها عنده ، ترك السرير مسرعاً نحو الشرفة يتأمّل الظلمة بالخارج ، يشعر بالدماء تغلي بعروقه ، حنقاً وندماً على كل ما تسبّبه لها من لحظات الم وعذاب .

تبعته أماني إلى الشرفة ، وقفت بقربه بصمت لبعض اللحظات لتقول بصوت متهدّج «وسام ، أنا بفهم شعورك ، وعارفة إنّي أخطأت بحقك وحق نفسي ، وبدي ياك تفكر مليح إذا إنت

أهل القادري

مستعد تكفّي معي ، بس أنا بفضّل إذا ما راح تقدر تثق في ويكون الشك دايماً بيناتنا فخلينا نفترق من أوَّل الطريق وكل واحد يروح بحال سبيله »

التفت اليها يراقب براءتها ورقتها ، إنّه يثق بها وسيعد نفسه قبل أن يعدها بأن يعوّضها كل ما فاتها من حب وحنان وإهتمام ، سيكون دائماً السند وإبن العم والأب والزوج ويقدم لها كل ما تحتاجه .

جذبها إلى صدره حاضناً إيّاها برفق ، لثم أعلى رأسها يقول « أنا بثق فيكي ثقة عمياء أماني وبوعدك من هذه اللحظة إنّه ماراح تشوفي إلاّ السعادة والهنا بين أحضاني ، وأنا الّي لازم إعتذر إلك على كل الّي صار بيناتنا وبوعدك إنّه وسام هذاك كان ثورة رجل غيور وراح لحال سبيله .إتفقنا!!»

وبعد تردد دام للحظات إحتضنته بالمقابل ملقيةً برأسها إلى صدره تتنهّد بإرتياح ، نعم ، فبعد طول عناء وصلت إلى محطتها الاخيرة ، بالصبر والصلاة والدعاء والإيمان بأنّ الله رحيم ولا يُحمِّل الانسان ما لا طاقة به ، لقد أخطأت وعوقبت وها هي تستلذ بنعمة المغفرة .

رفعت رأسها عن صدره ترمقه بعينان دامعتان تقول بصوت مخنوق «أنا ما راح أطلب منك الطلاق ، إذا كنت بدك تبقى معي وإتمام زواجنا فأنا موافقة لأنّي بكل تأكيد مش راح عود لعند بابا ، هوي كثير غاضب مني وما بده يحكيني أو يشوف صورة وجهي »

عقد وسام حاجبيه مستنكراً كلامها كلّيّاً «أماني ، إنت فاهمة شو عم بتقولي ، أنا أبداً ما بقبل كون حل إجباري بحياتك ، إذا بدّك نتمم زواجنا فقط لأنّه ما عندك حل ثاني أنا عندي إلك كثير حلول ....»

صمتت مطلقة سراحه من بين ذراعيه متنبّهة لما تفوّهت به من تراهات متمتمةً«لا ، لا ، أنا ما بقصد هيك ، أنا ....»

زفر أنفاسه الحامئة يشعر بها تحرق شرايين رئتيه ، لا يريد أن يكون تحصيل حاصل بحياتها ، بل يريدها أن تحبّه وتشاركه هيامه هيام .

«أماني ، أنا مستعد ساعدك تكفي علمك ودبّرلك شغل محترم وتعيشي حياتك مثل ما بتتمني ، منّك مضطرة ترجعي تعيشي بيبيت عمّي ومنك مضطرة نتمم زواجنا »

فغرت فاها مخرجة آهة طفيفة ، حائرة بكلامه ، لا يريدها ، ولكنّه كان يخبرها بأنّه سيقوم بالمستحيل من أجل إسعادها

أسندت كفّها إلى الجدار بقربها مشيحة بنظرها عنه ، هاربة منه ، ضائعة تشعر بالجدران تتحطم من حولها«إنت ما بدّك ياني ، بس كنت عم بتقول إنّك مستعد .....»

رمقها بحيرة هو الآخر غير قادر على إستيعاب سبب شحوب وجهها المفاجئ «أماني ، شو صرلك ، أنا بحبك ، بحبك وبدّي ياك تحبيني ، مش تعيشي معي لأنّه ما في عندك حل ثاني ، أنا عم قدملك حلول ثانية »

هزّت برأسها عائدة ببصرها المضطرب اليه« ما قدرت وصلّك مشاعري بطريقة صحيحة ، أنا كنت بدأت حبّك من قبل ما نتزوج ، إكتشفت إنّك كثير مهم بحياتي وإنّه في بيناتنا رابط متين وتفاهم عميق ، بس مشكلتي مع مازن كانت مشوشة أفكاري ومشاعري إتجاهك ، كنت مستحيل إقبل زواجي منك لو ما كان في شي بهذا القلب إتجاهك .»

إنفرجت أساريره مقترباً منها آخذاً إيّاها بين ذراعيه مستلماً شفتيها بقبلة هادئة رقيقة ، تشبه تلك القبلة الّتي سرقها منها قبل زواجهما بيوم ، حيث إدّعى بأنّه يتمرن بها معها ، وهي حاوطته بذراعيها بخجل تحاول أن تستلذ بما يقدمه لها دافعةً عنها وخزها الطفيف تذكر نفسها أنّها لا تفعل شيئاً خاطئاً أو محرّماً ، إنّه زوجها وحلالها ويحق لهما بفعل ما يفعلاه ،

أحمد القادري

لتشهق لحظة حملها بين ذراعيه قائداً إيّاها نحو السرير قائلاً بنبرة ماكرة متوعدة «في كثير إشيا لازم تتعلّميها قبل ما تصيري زوجتي فعلياً وأوّل درس لازم يكون عن كيفية طرد الخجل عنك ، وما تخافي شوي شوي أنت بتتفاجئي من نفسك كثر ما بتصيري عديمة الحياء »

توسّعت حدقاتها مصدومة من عباراته العديمة الحياء ، تشعر بالحرارة المرتفعة تجتاح وجهها وعنقها فأغمضت عيناها دافنة وجهها بصدره لا تجرؤ على إطالة النظر إلى عمق عينيه المشتعلتين بنار الرغبة إتجاهها .

نعم وأخيراً عادت الامور إلى نصابها ، الطيبون للطيبات والخبيثون للخبيثات وهي حصلت على حقّها بهذه الحياة بعد طول عناء .

تركته نائماً وتسلّلت خارج الغرفة بإبتسامة بلهاء على وجهها ، لقد سهرا على الدروس الخصوصية ، لينا ما قبل بزوغ الفجر بوقت ضئيل ، أغلقت الباب ورائها بهدوء لتُفاجأ بزوجة عمّها بوجهها تسألها بحنان « حبيبتي ، صحيتوا من النوم »

هزّت برأسها تشعر بالخجل يجتاح ملامحها بعنف متمتمة « وسام بعده نايم»

أحلام القادري

وإذ بزوجة عمّها تطرق على الباب بعنف منادية إبنها « ويسام يا ولد ، بيكفّي نوم ، شو جاي تنام عنّا ولاّ جاي حتّى نشوفك إنت وزوجتك ونقضّي وقت معكم ، كلها أسبوعين بالسنة يلاّ يا زلمة »

شهقت أماني تتأمّل زوجة عمّها الثائرة لتلتفت اليها غامزة بمرح مفسرّة لها «لو بعدك نايمة ما كنت تجرأت عملت هيك ، بس مدامك صحيتي خليه يصحى هوي كمان»

ضحكت أماني تراقب زوجة عمّها تمسكها من كفّها مسرعةً بها خارج البهو نحو الاسفل قائلة «إسّا بيجي لينا عجلي نهرب »

نزلت المطبخ لتجد إبنة عمّها إيناس وولديها الصغيرين ، سلّمت عليهم بخجل وجلست إلى الطاولة معهم .

«كيفك حبيبتي ، إن شاء الله أخذت على الجو ووسام ما عم يلتهي بالشغل وحابسك بالبيت طول الوقت »

سألتها إيناس دافعةً الطعام بفم صغيرها .ولكن قبل أن تفتح فمها وتجيبها رأت وسام ورائها قابضاً على عنقها دافناً وجهه بين شعرها يقول بصوت مخيف « إيناس إيناس جاي آكل إيناس »

شهقت بذعر تحاول دفعه عنها متمتةً بين قهقهاتها « وسام ، كم مرّة بدي قلك إني صرت كبيرة وما عدّت خاف من نبرة

أحمد القادري

صوتك هيدي ، بس الظاهر إبن أختك خاف منك خاذ سكته »
قالت إيناس دافعةً إبنها بحضنه وهو أخذه بطيبة خاطر يلثم وجنتيه بحنان وأماني تراقب الوضع بغصّة ، تشعر بالدفئ بين ثنايا عائلته ، عائلة متماسكة سعيدة ودافئة لينتبه لها شاردة بغصّة فأعاد إبن إخته لأخته مقترباً منها وبدون تردد طبع قبلة عاشقة على شفتيها مثيراً خجلها الشديد أخذاً إيّاها بين أحضانه هامساً بأذنها «كيف حال تلميذتي المجتهدة ، لازم تجهّزي نفسك للإمتحان الليلة ، لأني راح إمتحنك بلّي تعلمناه مبارح »
شهقت بخفوت تتلفت حولها لتجد أن لا أحد يعيرهما إنتباهه لتعود بنظرها اليه ترمقه بجزع « وسام ، إستحي بقى ، إسّا بيسمعوك وبتفضحنا»
قهقه ضامّاً إيّاها أكثر كاتماً على أنفاسها « بحبّك أماني ، بحبك كثير ، يا أجمل هدية من ربّي »
إبتسمت له بفرحة عارمة تسأله بخجل « بجد ، بجد بتعتبرني أجمل هدية؟؟ »
أمسك فكّها مستلماً شفتيها بقبلة خاطفة قائلاً « أجمل وأروع هدية من أثمن المثمنّات ، خلص أماني ، أنت نصيبي وأنا

نصيبك وخلّينا ننسى الماضي والي صار ونبدأ صفحة جديدة بيضة بنكتب فيها مسار حياتنا المستقبلية .»

ومأت برأسها له على وشك البكاء ليخرجهما من خلوتهما صوت حماتها تقول ، «يلاّ الترويقة صارت جاهزة للعرسان ، لروح صحّي بيك الكسلان ، عطول بقول لمين طالع هذا الزلمة »

رفع حاجبه مستنكراً تلميحها معلّقاً«ماما ، أنا بورث صفاة بابا ومش هوي بيورث صفاتي ، حبيبتي روحي صحّي زوجك وخلّينا نأكل أنا وزوجتي لوحدنا ، قعدة رومانسية»

وإذ بإيناس تقتحم المكان وتجلس قبالتهما فجأرها ويسام بحنق معلّقاً «أنا طردت ماما لعند بابا وأنت شو جابك »

رفعت حاجبها بعدم إكتراث مباشرة بالاكل « دخلك يا عريس الغفلة ما شبعت منها الكم أكثر من شهر منعزلين عن العالم ، أنا متأكدة إنه أماني ملّت منك ومن نكدك »

ضحكت أماني مسترسلةً ، مباشرة بطعامها إذ تشعر بجوع شديد جعل معدتها تصدر نقيقاً مخجلاً . ووسام أصرّ عليها أن تتذوق جميع الاطباق وأنواعها حتّى شعرت بتخمة رهيبة كاتمة أنفاسها وحركتها.

الخاتمة

بعد ثلاث سنوات

«أماني حبيبتي ، يلاّ ، صار لازم نمشي والاّ راح نتأخر على موعد الطيّارة»صاح وسام يضع الحقائب بصندوق السيّارة

وقف بعد لحظات يراقبها بإبتسامة طيبة تحمل أسامة بين ذراعيها متهادية بخفّة لا متناهية نحو السيّارة تغنّي لإبنها أغنيته المفضلة وهو يبتسم لها يغني معها بأحرف متشابكة بما يشبه لحنها .

أخذ أسامة من بين ذراعيها طابعاً قبلة رطبة على شفتيها الفاتنتين ثم أدخل إبنه إلى السيّارة محكماً إيّاه بكرسيّه ينتظر صعودها هي الآخرى ، وأخيراً قبل والدها محادثتها ، بكت على الهاتف ورجت غفرانه وبكى هو الآخر غافراً لها راجياً قدومها إلى لبنان للزيارة كي يرى حفيده الاوّل ، وهي لم تصدق مباشرة بالتخطيط للزيارة منذ ستة أشهر مضت .

أمسك بكفِّها يرمقها بحنان وهي أهدته نظرة إمتنان ما تنفك عن إرسالها اليه بكل مناسبة وغير مناسبة ، حبيبته وزوجته وأم طفله ، لقد وجد دفئه بأحضانها وأمانه بين ربوعها وإيمانه بقلبها ، علّمته الصلاة والتقرّب من الله وسؤاله حاجته مهما

أحمد القادري

كانت منه هو وحده ، علّمته أن الحياة تحتاج إلى فرص ثانية بكل المجالات وبأنّ إبنة عمّه فاتنة الفاتنات ، يحبّها ويعشقها والاهم بأنّها تشاركه مشاعره بذات القوّة والحاجة .

أمّا مازن حتّى بعد مرور أكثر من خمسة عشر سنة الجرح الّذي قسم ظهره وشطر قلبه بقي على حاله ، إمّا أنَّه لم يرد أن يتعالج منه أم أنّه حاول ولم ينجح بذلك ولكنه بالنهاية عاد إلى لبنان بثروة لابأس بها عاد يفتش عن أماني بين الوجوه ، عن ساكنة قلبه وروحه ووجدانه ، ولم يجدها بأي مكان ، فعكف عن فكرة الزواج وعاد يعيش حياته كما كانت من قبل بين أحضان العشيقات ، هنا وهناك ولم تستطع ولا واحدة أن تدفع أماني خارج قلبه وتستوطن مكانها .
قلبه إمتلكته واحدة لا غير ، تربعت على عرشه فارضةً وجودها مستوطنة بروحه وكيانه يعيش بين جدران ذكرياتها متمنّياً لو أن القدر يعيدها اليه لكان إستغل الوضع بطريقة أخرى ولما سمح لها بالانفلات من قبضته أبداً ، أماني كانت بالنسبة اليه الضربة القاضية.

تمت